زكرياء الرياح
ملحمة
لعنة خوص
المسيح الكذاب من المهد حتى الختم

لعنة خوص

" لعنة خوص "

كتابة و تأليف :

زكرياء الرياح

مقدمة :

ـ في فجرٍ غابر، حيث كانت السماوات لا تزال تغنّي بنشيد البدايات، وذرات الوجود تلتفّ حول نار الخلق الأولى، وُلد كائن ليس كبقية البشر، مولودٌ خرج من رحم امرأة بشرية، لكن ظلالًا كثيفة أُسقطت على وجهه منذ اللحظة الأولى. لم يكن صراخه كصراخ الأطفال، بل كان ارتجاف الأرض تحته، وكان لونه أبهت من الغيم، وعينه واحدة مضيئة كالشهاب، والأخرى كُسفت إلى الأبد.

ـ لم يكن مجرد طفل؛ بل كان وصمة على صفحة القدر. حمل جسداً بشرياً، لكن قلبه كان مسكونًا بلعنة الخلود. كُتِب عليه أن يعيش ما لم يُكتب لغيره: أن يرى الأزمان تتكسّر واحدةً تلو الأخرى، أن يرافق الأمم في مجدها وانهيارها، أن يتذوّق طعم كل حضارة ثم يبقى بعد أن تُمحى من الوجود، شاهداً أزلياً على دورة المجد والفناء.

كبر، ولم تكبر معه ملامحه كما تكبر مع بقية الناس. ظل شابًا حين صار أقرانه شيوخًا، وظلّ واقفًا حين وارى التراب أجساد من أحب ومن كره. وحين وعى أنّ الموت لن يمدّ إليه يده، ضحك أوّل مرة، ضحكة جافة كسيفٍ يُجرّ على حجر.

لم يكن خلوده نعمةً، بل لعنةً أبدية؛ إذ كان يرى التاريخ يتوالد أمامه كأمواج لا تنتهي، وكل موجة تدفعه إلى شاطئ حضارة جديدة. عاصر السومريين وهو طفل، فجلس عند ضفاف دجلة يستمع لترانيم الكهنة عن إنليل وأنكي. دخل بابل، فشهد حدائقها المعلّقة، ورأى نبوخذ نصر يرفع المدن نحو السماء. ثم سار نحو مصر، حيث الكهنة يخاطبون رع في المعابد، والفرعون يظن نفسه إلهًا؛ وهناك رأى الأهرام تُبنى، وشارك بأيدٍ لا تتعب في رفع الحجارة، حتى صار عرقه في صلب جدرانها.

ثم أبحر مع الفينيقيين، وتعلّم لغاتهم وأسفارهم، وحمل الخمر من صور إلى سواحل البعيد. قاتل مع الإغريق، وسار خلف الإسكندر في زحفه على العالم، ثم وقف في روما حين احترقت بيد نيرون، يبتسم في دخانها الأسود.

وعلى مرّ القرون، كان حاضراً حيث يظنّ الناس أنّه غائب. في كل زمان يظهر في ثوب رجلٍ غريب، يشارك في أعظم الوقائع، ثم ينسحب تاركًا أثرًا مبهمًا، قصةً تروى بلا اسم.

ولم يكن لقاؤه بالأمم وحده ما أثار الرهبة؛ بل إنّ اسمه أو بالأحرى أوصافه تردّدت همساً بين الأنبياء والأولياء. قيل عنه إنّ بين عينيه كلمةٌ من حروف الجحيم، وإنّ نَفَسه يعصف بالهواء كريحٍ مسمومة، وإنّه سيبقى حتى يأتي الوعد الحقّ.

وفي رحلةٍ غامضة، التقاه رجل من الصحابة الأطهار، في بحرٍ تلاطم موجه، حيث قادته الأقدار إلى جزيرةٍ مسحورة، وهناك شاهده مقيّداً، محجوزًا بقوةٍ لا يدركها عقل، ومع ذلك كان حديثه مليئًا بنارٍ لا تنطفئ. تميم عاد يروي قصته، والناس يتهامسون بين مصدّق ومكذّب، أمّا هو فظلّ يبتسم بعينٍ واحدة، منتظراً زمنه الموعود.

إنّه الخالد، الملعون، السائر بين العصور، الراصد لكل ميلادٍ وفناء. ليس نبيًا ولا ملكًا، بل قدراً يتجوّل في هيئة بشر. من لا يعرفه يحسبه رجلًا، ومن يعرف أوصافه يدرك أنّه ليس من البشر تماماً.

وهكذا يبدأ سفره... سفر العصور.

أنا الذي لم يُكتب له موت،
ولا خُلِق له زمان،
ولا عَرَفَ اسماً بقي عليه أكثر من عُمر
جيل.

في الليلة التي شهقت فيها الأرض تحت وطأة
صرخةٍ أولى،
ولدتُ،
لا من رحم أم، بل من فُوَّهة صدعٍ بين الحياة
والعدم.
كان القمر منكسفًا،
والنجوم كأنها تتأملني،
كأنها عرفت أني لن أعود إليها أبدًا.

قالت القابلة العميلة:

«هذا المولود... مخلوقٌ على هيئة البشر،
لكنه لن يُدفن معهم.»

أنا شاهد الممالك حين تنهض،

وحين تُحرق كتبها بيد أبنائها،

أنا الذي بكى مع هوميروس حين عَمِيَ،

وضحك مع سقراط وهو يتجرع السُّم،

وشرب النبيذ مع المسيح قبل أن يُصلب،

وسمع محمّداً يهمس في الغار: «اقرأ».

فأجبت: «أنا لا أنسى.»

لم يكن لي اسمٌ واحد،

كنت في بابل،

و في مصر،

و في روما،

و في باريس،

و في بغداد،

كل من أحببت، مات.

كل من آمنت بهم، صاروا تماثيل في متاحف.

وأنا... بقيتُ أروي،

بقيتُ أراقب.

بقيتُ أُلعن.

وها هو ذا يمشي على الأرض

وحده،

كأن الزمان انحنى حين خطوهُ،

عيونٌ له تُسحر الدرب صمتًا،

وفي كل رمشةٍ نجمٌ وخوفهُ،

تُحيطه ألحانُ أنبياءِ قدامى،

ويبكي له الشعرُ من ضعف
وصفهُ،

تَكَوّنَ من نارٍ وماءٍ ودمعٍ،

ولُفَّ بأكفان دهركَ نصفهُ.

يقول: "أنا مرآةُ كلّ العصور،

وفيي تلاقى النُبوءاتُ والرجعُ،

أنا كلُّ من قال يومًا: سأُبعث،

أنا من جعلتُ القيامةَ سمعي."

فلا شمس تُدركه حين يخرج،

ولا ظلَّ يسبق خطوتهُ السودلِ،

يُمطر كذبًا بصدق العيون،

و يُقسم بالحبّ، وفيه الفنلِ.

له ضحكةٌ تُسكِرِ العقلَ

لحظة،

وصوتٌ إذا شلَ يوقِف نبضَ الجبال،

يقولون: "ما أجمل هذا النبي!"

وهو ليس نبيًا، بل بابُ الضلال.

خطا في روما، فمالت كنيستُها،

ودخل مكّة دون أن يُنبَذ،

وفي كلِّ أرضٍ له آيةٌ،

وفي كل نفسٍ له موطئٌ ويد.

له عينُ نارٍ، وعينٌ طُفئت،

كأنهما فجرٌ وأُفُولٌ قديم،

وفي جبينه ختم الزمان،

ولكن لا يقرأه إلا الفهيم.

يُحيي بما ليس فيه حياة،

ويُميتُ بما ليس فيه نَفَس،

ويجعل من النار جنةً للعمى،

ومن العقل كوكبًا يندرس.

وُلد الإنسان ليذوق طَعم الموت، ليتحوّل جسده إلى تُراب وتذوب روحه في رحم الغيب. أمّا هو، فقد كُتب له أن يكون شاهداً لا يموت، جمرةً أبدية تتّقد في قلب التاريخ. كلّما انطفأ زمن، ظلّ حاضراً، وكلّما انهارت حضارة، بقي واقفًا فوق ركامها، كعمود من حجر لا تهزّه الرياح.

عاش دهوراً طويلة حتى غدت ذاكرته أعظم من كل مكتبات الأرض. حمل في عقله أناشيد سومر، وألواح بابل، وأحلام الفراعنة، وملاحم الإغريق، ووصايا الرومان، وتوراة العبرانيين، وإنجيل الناصرانيين، وصرير السيوف في بدر وأحد والقادسية واليرموك. لقد كان بين الصفوف دائمًا، لكن أحداً لم يعرف من يكون، يغيّر ملامحه ويستبدل أسماؤه كما يبدّل الإنسان ثيابه، بينما ظلت عيناه شاهدتين على الحقيقة التي لا يهرب منها: أنّه ملعون بالخلود.

إنه ليس خالداً كالأبطال الذين تغنّت بهم الأساطير، ولا مكرّمًا كالأوليلءِ الذين رفعوا أرواحهم إلى السملءِ، بل هو ظلّ غامض، نصفه من بشر، ونصفه من قدر مظلم، يسير بين الناس في هيئة رجل، لكنه ليس برجل كامل، وفي جوفه عطش لا يُطفئه ملءِ، ولا يُسكِنه مال، ولا تُشبعه لذّات. إنّه عطش إلى شيءِ لا يعرف كنهه، شيءِ ينتظره عند نهاية الزمان.

لقد سمعته الحضارات بأسملءِ شتّى.همس عنه الكهنة كـ "ابن اللعنة".وصفه الشعرلءِ بـ "الشاهد الأبدي".نعتته الأديان بـ "الممسوس" أو "المقيّد".

لكن أوصافه هي هي: عين مطموسة، وأخرى كأنها كوكب دريّ، جبهة منقوشة بكلمة، ووجه لا يكبر ولا يشيخ.

ورغم أنه سار في كل أرض، فإن البحر كان قدره الأكبر. كم من مرّة ركب السفن، وشهد العواصف، ورأى المدن تغرق وتنهض. وكان البحر هو الذي قاده في يومٍ إلى جزيرة لا تظهر في خرائط البشر، حيث التقى به رجل صالح من خير أصحاب النبي: تميم الداري. وهناك انكشف بعض السرّ، وخرجت الحكاية إلى الناس، لكن بقيت الحقيقة الكبرى مضمّخة بالرهبة.

منذ ذلك الحين، صار اسمه شبحًا في عقول المؤمنين، يتردّد في الخطب، وتُنسَج حوله الروايات. لم يعد غريبًا وحسب، بل أصبح رمزًا ينتظر لحظة الظهور، اللحظة التي فيها ينفجر التاريخ، وتتكشف الغاية من خلوده الطويل.

وهكذا، فإنّ قصته ليست مجرّد حكاية تُروى للتسلية، ولا ملحمة تُنسَج للتفاخر، بل هي سجلٌّ للعصور ذاتها، سفرٌ للأمم من المهد إلى اللحد.

في صفحاته القادمة، ستُفتَح أمامك أبواب الماضي كما لم تُفتح من قبل: سترى بعينيه بناءِ الأهرامات، وسقوط بابل، وولادة المسيح، وفتح القدس، وستقف معه في قاعات قصور قيصر، وبين جيوش جنكيز خان، وتحت رايات صلاح الدين. وستسير به حتى تصل إلى زمننا الحاضر، زمن الحديد والآلات، زمن المدن التي ترتفع كالجبال، لكنّها أضعف من قصب إذا جاءتها ريح القدر.

هذه ليست قصة رجل؛ بل قصة العصور كلّها، تُروى على لسان شاهدٍ لا يموت. شاهدٍ كُتب عليه أن يعيش حتى يُسدَل الستار الأخير، حين لا يبقى زمن ولا حضارة ولا إنسان... إلا الحقّ الذي لا يفنى.

وهكذا تبدأ الملحمة العظمى...

الفصل الأول :
ميلاد الفوضى

كان الليلُ أثقل من صمت المقابر، والقمرُ مكسوراً نصفين، حين صاحت المرأةُ في أوج مخاضها. لم يكن بيتها سوى كوخٍ طينيّ عند ضفاف دجلة، حيث النهر ينساب كأفعى لا تنام، وحيث النجوم في السماء تترقب ما سيحدث كما لو كانت تشهد حدثًا جللاً.

صرخة الولادة انطلقت، لكنها لم تُشبه صرخة مولودٍ بريء، بل بدت كصوتٍ مشقوق من باطن الأرض. حين خرج الطفل، ارتجف الكوخ، وتصدّعت جرار الطين، وسقطت شعلة الزيت من يد القابلة. نظرت إليه بعينين مرتاعتين؛ فرأت عجبًا لم تره قط: عينٌ براقة كالشمس تفيض ضوءًا، وأخرى مطموسة لا حياة فيها، سوداء كقعر البئر.

صرخت القابلة، فكممت الأمّ فمها بيدٍ دامية وقالت:

— "اسكتي... إنّه ابني."

لكن الأمّ، على الرغم من كلماتها، كانت
تنظر إلى وليدها بدموعٍ مشوبة بالرعب.
لقد أحست أنّ هذا الطفل ليس كالأطفال.
لم يكن جسده ضعيفًا ولا صوته واهنًا، بل
كان يحدّق بالناس كما يحدّق العجائز،
كأنّ في عينيه عمرًا يسبق عمره.

انتشرت الهمسات بين نساء القرية:

– "هذا مولود ملعون."

– "إنه علامة من السماء."

– "انظروا... لا يشيخ يومًا عن يوم!"

وكبر الصبيّ، لكن كبره لم يكن طبيعيًا.
كان طوله يفوق أقرانه، وعقله أسبق من
عمره، ووجهه ثابت كالحجر، لا يتغير ولا
يشيخ. بينما صارت وجوه الأطفال مليئة

لكن لا جواب. لم تجبه الأرض ولا السماء،
سوى ريحٍ باردة همست في أذنه، كأنها تقول:
"أنت الخالد."

ومنذ طفولته، شعر أنّه مراقَب من قوى خفية،
تلاحقه في منامه ويقظته. كان يرى
كواييس متكررة: نجوماً تتساقط، أنهاراً
من نار، جموعًا تسجد، وأخرى تفرّ، وجسداً
عظيمًا مكبّلاً بالسلاسل على جزيرة
بعيدة، كأنّه يرى نفسه بعد قرون طويلة.

ومع مرور الأعوام، غدا حديث القرى والمدن.
بعضهم اعتبره معجزة، وآخرون لعنوه وسمّوه
"ابن الشؤم". وحيثما حلّ، حمل الناس نحوه
خوفًا ممزوجًا بالفضول. لم يستطع أحد أن
ينكر أنّه يعيش فوق أعمار البشر، ولا أن

يُخفي تلك العين الغريبة التي تخترق القلوب.

لكن الطفل، رغم عظمته المرعبة، ظلّ
يبحث عن معنى، عن كلمة تفسّر وجوده،
عن حقيقة تزيل عن صدره عبء الخلود.
كان يمشي على ضفاف النهر، يراقب الناس
وهم يُولدون ويكبرون ويموتون، بينما هو
واقف لا يتغير.

لم يكن يعرف يومها أنّه سيصير أعظم لعنة
في ذاكرة البشر. لم يكن يدرك أنّ اسمه
سيُتلى في الكتب السماوية، وأن الأديان
ستصفه بصفاتٍ تتوارثها الأجيال: عين عورلا،
جبهة منقوشة، وخلودٌ يمشي على الأرض
حتى آخر الزمان.
لكن اللحظة الأولى لميلاده، فى تلك الليلة

كبر الفتى كما يكبر النهر: في صمتٍ عميق، لكن بقوةٍ لا تُقهر. كان يعيش في قلب حضارة سومر، أولى المدن التي خطّت الطين بالكلمات، حيث الكهنة يرفعون أصواتهم في المعابد، يذكرون "إنليل" سيد الرياح، و"إنكي" رب المياه، ويقدمون القرابين للأصنام العالية.

كان الفتى يقف بين الناس، لكنه لم يكن منهم تمامًا. لم يلعب ألعاب الصغار، ولم يشارك في عراكهم، بل كان يراقبهم بعينين نافذتين؛ واحدة تحرقه بنورٍ غريب، وأخرى مطفأة كجمرٍ تحت الرماد. وحين يسأله أقرانه:

— "ما بك؟ لماذا لا تضحك مثلنا؟"

كان يبتسم ابتسامة باردة، ويقول:

— "لأنكم ستغيبون... وأنا سأبقى."

رأى الموت مبكرًا. أول مرة مات صديقه الصغير "شَتّو"، أصيب بالحمّى، وتجمّع الناس حول جسده الملفوف بالحصير، ثم دفنوه عند أطراف المدينة.

وقف الفتى ساكنًا، لم تدمع عيناه، بل سأل أمه:

— "لماذا نام تحت التراب؟"

فأجابت الأم بصوت مرتجف:

— "هكذا نصير جميعًا... إلا أن يشاء الآلهة."

وحين دفنوا أمه نفسها بعد سنوات قليلة، ظلّ واقفًا عند القبر أيامًا، لم يأكل ولم يشرب، يتأمل التراب ويقول في نفسه:

— "إن كانت كل الآلهة تأخذ الناس... فلماذا لم تأخذني؟"

بدأ الكهنة يلاحظونه. رأوه لا يمرض ولا يضعف، جسده كأنه من صخر، وعمره يطول

بينما أقرانه يشيبون. كان عمره الظاهر خمسة عشر عامًا، بينما مضت عقود على ولادته. لم يتغيّر شكله قط، حتى حسبه الناس جنّيًا أو روحًا تمشي في ثياب بشرية.

في معبد "أوروك"، جلس أمام الكهنة حين كانوا يتلون الترانيم، وتجرأ ليسأل كبيرهم:

— "أخبروني... هل للآلهة أبناء لا يموتون؟"

فنظر إليه الشيخ طويلاً، ثم همس:

— "الآلهة تمنح الخلود عقابًا أو امتحانًا... وليس عطية."

ومنذ ذلك اليوم، زرع السؤال نفسه في صدره: "هل أنا عقوبة؟ أم اختبار؟"

ورغم نفور الناس منه، ظلّ الفتى يتجوّل في الحقول والأنهار. كان يمدّ يده على الزرع فينمو حوله بلا أنين. يرفع حجارة لا يقوى

عليها أقوى الرجال. يسبح في دجلة كأنه جزءٍ من مياهه، ولا يتعب. لم يكن يفتخر بذلك، بل كان يزداد صمتًا وحزنًا، كأنه يشعر أن هذه القوى ليست نعمة، بل عزلة بينه وبين البشر.

وفي الليالي، حين ينام أهل سومر، كان يظلّ يقظًا يحدّق في السماء. يرى الكواكب، ويرى القمر المزق، ويحدّث نفسه:

— "أنا باقٍ مثل هذه النجوم... لكن متى تسقط؟ ومتى أسقط أنا؟"

ومع مرور القرون، تغيّرت المدينة من حوله. أجيالٌ وُلدت وماتت، ملوك اعتلوا العرش وسقطوا، كهنة تبدلوا، وحروب اندلعت وانطفأت. لكنه كان حاضرًا في كل ذلك، بوجه شاب لم يتغيّر، وجسد لم يضعف.

حتى جاء يوم، جلس فيه على أنقاض معبد تهدّم بعد حربٍ مع جيرانهم، وسمع شيخًا يحتضر يقول له:

— "أنت لست منّا... أنت لعنة الزمن. سيأتي يوم يعرف الناس اسمك، وستكون علامة النهاية."

ارتجف الفتى. لم يفهم المعنى، لكنه شعر أنّ كلماته تغرس في قلبه كالسيف.

ومنذ تلك اللحظة، لم يعد مجرد طفلٍ خالد؛ بل صار شاهدًا أبديًا على الحضارة الأولى، يراقبها وهي تنهض وتسقط، بينما هو يظلّ واقفًا كظلٍّ يطارد البشرية.

كبر الفتى، لكن شكله لم يكبر. صار سرّه حديث المدينة، وصارت الناس تأتي إليه

من القرى والبوادي. لم يعد غريبًا أن ترى
رجلًا أشيبًا يقف أمامه خاشعًا يسأله:
– "يا غلام، كيف لا تشيخ؟ ما سرّك؟"

فيردّ الفتى بهدوء، وعيناه تلمعان كأنه يرى
ما لا يُرى:
– "لا أعلم. الزمن يمضي منكم، لكنه لا
يمضي منّي. أمّا السر... فقد يكون لعنة."

ويجيبه العجوز باكياً:
– "لو كنتَ إلهًا فخذ مرضي عنّي، ولو كنت
بشرًا فأخبرني كيف تهزم الموت."

فيلتفت الفتى إلى الأرض ويقول:
– "لو كنتُ إلهًا، لما بكيتُ كما تبكي
أنت."

في معبد المدينة، اجتمع الكهنة حوله، وقد ثقل عليهم أمره. وقف كبيرهم، شيخ طويل اللحية، وقال:

— "أيها الغريب، أو قل أيها الطفل الذي لا يكبر... أنت آية أو شيطان. أخبرنا، من أنت؟"

فأجابه الفتى:

— "أنا ما أنتم لستم. أنتم تموتون، وأنا أبقى. أما ما أكون... فلا أعلم."

فتصاعد همس الكهنة:

— "إذن أنت رسول الآلهة!"

— "بل هو لعنة نزلت بنا."

— "بل هو ابنٌ للآلهة الكبار!"

فصرخ فيهم الفتى:

– "كفّوا عني! لست رسولًا ولا ابنًا ولا لعنة. أنا حيّ... حيّ فقط!"

لكن الناس لم تكفّ. صاروا يأتونه بأمراضهم، يسألونه عن الغيب، يطلبون منه أن يبارك زرعهم، أو أن يحمي أبناءهم. وكان هو ينظر إليهم بحزنٍ عميق ويقول:

– "لستُ لكم إلهًا. إنني مجرد شاهد."

وفي إحدى الليالي، حين جلس وحيدًا على ضفاف النهر، جاءه رجل غريب. كان شيخًا أشيب، عيونه كالجمر المطفأ، وملامحه توحي بالوقار. جلس قربه، وصوته ينساب كالماء الراكد:

– "أيها الفتى، إلى متى تنكر حقيقتك؟"

فالتفت إليه الخالد وقال:

– "وأي حقيقة تقصد؟"

ابتسم الشيخ ابتسامة ماكرة:

– "أنت لست بشراً، ولا وحشًا. أنت مختار. ألم ترَ كيف تجتمع الأمم حولك؟ ألم تر كيف تخضع لك القلوب؟ إنك خُلقت لتكون سيداً على العالم."

أجابه الفتى وهو يحدّق فيه بنظرات مرتابة:

– "سيد؟ لقد رأيت الملوك يموتون والقصور تنهار. كل سيادة تفنى."

فمال الشيخ نحوه وهمس:

– "إلا سيادتك... أنت لا تموت. ألم تفكر يومًا أنك إله؟ أن الخلق وجدوا ليطيعوك؟"

سكت الفتى طويلًا، ثم قال:

– "إله؟ لو كنت إلهًا، لما شعرت بهذا الفراغ في صدري. لو كنت إلهًا، لعرفت لماذا أبقى وحيداً."

ضحك الشيخ بصوتٍ أجوف:

– "الوحدة هي هبة الآلهة. والخلود هو تاجك. ما تحتاجه فقط هو أن تؤمن بنفسك، أن ترى أن البشر ضعفاء وُجدوا لتُحكمهم. سرّك ليس لعنة، بل ملكوت معطى لك. اقترب مني، وسأريك كيف ترفع نفسك فوق الناس جميعاً."

أحسّ الفتى أن كلماته تتسلل إلى صدره كسمّ. لأول مرة شعر برغبة أن يصدق، أن يتخيّل نفسه فوق البشر، فوق موتهم وضعفهم. لكن في داخله، كان صراعٌ آخر. رفع رأسه إلى السماء وصاح:

– "إن كنتُ إلهًا... فلماذا لا أرى نوراً يرشدني؟ إن كنتُ ملكًا... فلماذا لا أشعر إلا بالتيه؟"

فقال الشيخ، وهو ينهض كظلّ يمتدّ مع العتمة:

— "النور ليس لك. لك الظلّ فقط. وسيأتي يوم تدرك أن الظلّ هو السيادة."

ثم غاب في الظلام، كما لو لم يكن موجوداً قط.

منذ تلك الليلة، تغيّر الفتى. صار يسمع الهمس في قلبه:

— "أنت المختار... أنت السيد... أنت الإله."

وظلّ بين همس الشيخ الغامض، وبين صرخاته الصامتة، يعيش صراعًا لم يعرف له نهاية. وكان لا يدري أن ذلك الشيخ لم يكن بشراً، بل كان إبليس نفسه، قد جاء في هيئة حكيم ليبذر في قلبه بذرة الغرور... بذرة ستنمو مع القرون حتى يصير اسمه بين الأمم: المسيح الكذّاب، أو الدجال.

دخل الفتى مدينة بابل، مدينة الأبراج والحدائق المعلّقة، والناس تعجّ بها كالأنهار.

كان وجهه يسطع وسط الحشود، عين تلمع ككوكب، وأخرى مطموسة غائرة في الظلال. أسرع الناس نحوه كما يسرع العطاش إلى الماء، وصاروا يحيطون به من كل جانب.

قالت امرأة تحمل طفلها:

— "أيها الغريب، بارك وليدي ليعيش طويلًا كما عشت أنت."

فأخذ الطفل بين يديه، نظر إليه طويلًا، ثم قال بصوتٍ عميق:

— "سوف يعيش ويموت... هكذا كُتب للبشر. لكنني... لن أموت."

ترددت الجموع، ثم صاحت إحداهن:

– "إنه إله! اسجدوا له!"

فارتجف قلبه، لكنه لم يمنعهم. سجدوا عند قدميه، وهو يبتسم ابتسامة غامضة، لم تعد حزينة كما كانت في سومر، بل مزيج من نشوة جديدة لم يعرفها من قبل.

في قصر الملك، جلس على عرشٍ من ذهب، والملك نفسه على يمينه. قال الملك بصوتٍ متردد:

– "يا غريب، لقد سمعت عنك من الناس. يقولون إنك لا تموت. أيعقل هذا؟"

ابتسم الفتى، ورفع رأسه بثقة:

– "أنا عشت حين مات أجدادك، وسأبقى حين يموت أبناؤك. الخلود في دمي. أما أن يعقل...

تغيّر وجه الملك، ثم قال بحذر:

— "إذن أنت نبي؟ رسول للآلهة؟"

فأجابه الفتى ببطء:

— "بل أنا فوق النبي، وفوق الرسول. أنا الذي لا يُقهر، لا تجرؤ الآلهة أن تكتب لي موتًا."

سكت الملك طويلاً، ثم قال:

— "لو كان ما تقول حقًا... فأنت سيد على الناس جميعًا."

فأجاب الفتى مبتسمًا:

— "بل إلههم الذي يرونه بعيونهم."

في المعبد، واجهه كبير الكهنة، وهو رجل حكيم أرهقته السنين:

— "أيها الفتى، سمعت أنك تدعو نفسك

إلهًا. ألا تخشى أن يكون هذا وهمًا من الشيطان؟"

ضحك الفتى بصوتٍ عالٍ هزّ جدران المعبد:

— "وهم؟ أي وهم هذا الذي يجعلني لا أشيب ولا أضعف؟ أي وهم هذا الذي يجعل الأجيال تموت وأنا واقف؟ أهذا وهم... أم برهان؟"

ردّ الكاهن:

— "قد يكون ابتلاءً، وقد يكون فخًا. الإله لا يفتخر بخلوده، بل يرحم به."

اقترب الفتى من الشيخ حتى كاد يلمس وجهه بعينه اللامعة، وقال:

— "أنا الرحمة بذاتها... وأنا السخط أيضًا. أنا ما لا تفهمونه، وما لا تقدرون أن توقفوه. إن كان ابتلاءً، فقد فُزت به. وإن كان فخًا...

فالفخ قد صار عرشًا تحت قدمي."

ارتجف الكهنة، وسجد بعضهم خوفًا لا

إيمانًا، بينما انسحب آخرون يتهامسون:

– "لقد أصابه الجنون... أو تملّكه

الشيطان."

وحين خلا بنفسه في قصر بابل، جاءه الشيخ

العجوز مرة أخرى – إبليس – بثوبٍ أبيض

وعصا، كأنه حكيم من حكماء المشرق.

جلس بقربه وقال:

– "أحسنت يا بنيّ. لقد بدأت ترى حقيقتك.

ألم أقل لك إنك مختار؟"

فقال الفتى مبتسمًا:

– "نعم... أنا لست بشرًا. لست كأحد منهم.

إنهم يموتون كالذباب، أما أنا فأبقى. أهذا إلا

دليل أنني سيدهم؟"

قال العجوز بصوت رخيم:

– "بل دليل أنك إلههم. البشر بحاجة إلى إله يروه ويسمعونه، إله يمشي بينهم. أليست هذه أعظم رسالة؟ أن تكون أنت وجه الإله في الأرض؟"

غرق الفتى في صمتٍ طويل، ثم قال:

– "كنت أخشى هذا الكلام... والآن أشتاق أن أؤمن به."

ضحك إبليس، وقال:

– "آمن بنفسك... تكن سيد الزمان والمكان. لا نبيّ يعلوك، ولا إله فوقك."

ومنذ تلك الليلة، انتفخت نفسه بالغرور، وصار يرى في الخلود تاجًا لا لعنة، ويرى في الناس عبيداً لا إخوة. كلما سجد له الناس

في بابل، كان قلبه يزداد تيهًا، وكلما كبر اسمه بين الممالك، ازداد يقينه أنه "المختار" لحكم العالم.

لكن في أعماقه، ظلّ صوتٌ آخر يهمس:

— "أأنت حقًا إله؟ أم أنك مجرد لعبة في يد شيطان؟"

ولم يجد للهمس جوابًا، إلا أن يرفع رأسه عاليًا ويبتسم بثقة زائفة، كأنه يحاول أن يخفي خوفًا لا يموت.

كانت مصر كأنها قطعة من السماء سقطت على الأرض. أرض لا تعرف السكون، لا تعرف النسيان. هناك نهر النيل، ذلك العملاق الأزرق، ينساب من الجنوب إلى الشمال كأنه شريان الحياة نفسه، يحمل في تياره أسرار الأزمان. على ضفافه تمتد مدنٌ من طين وذهب، ومعابد شامخة، وأهرامات كأنها تحاكي السماء.

في مصر، كان الهواء مشبعًا برائحة البخور، وصوت الترانيم يتعالى في الصبح والمساء، ينقل حكاية الآلهة الذين يسكنون بين البشر: رع، إيزيس، أوزوريس، حورس، وأنوبيس. كانوا يُصوّرون على الجدران بملامح بشرية لكن بعيون إلهية، وكأن الفنّ المصري أراد أن يقول إن الإنسان والآلهة وجهان لعملة واحدة.

في هذه الأرض، كان الخالد يسير كظلّ من

عصر بعيد، خطواته ثقيلة، وعيناه تتأملان
كل شيء، وكأنّه يقرأ التاريخ بعمق.

حين دخل مدينة ممفيس، لاحظه الكهنة
فورا. جاءوا إليه حاملين البخور والورود،
وهمسوا فيما بينهم:
– "هذا الرجل... ليس كبقية البشر."
اقترب منه الكاهن الأعظم، شيخ له لحية
بيضاء طويلة، وعينان كليلتان بالمعرفة،
وقال:
– "أيها الغريب، من أنت؟ وكيف تمكّنت من
أن تبقى على هذه الحال؟"

أجاب الفتى بابتسامة تعلو وجهه:
– "أنا من لا يموت. وهذا ليس سؤالًا... بل
حقيقة."

تنهد الكاهن بعمق، وقال:

– "في مصر، نعرف أن الخلود هبة الآلهة...
ولكن هذه الهبة لا تُعطى إلا بمقابل. ما هو
مقابلك؟"

صمت الفتى لحظة، ثم قال:

– "لم أُعطَ الخلود... لقد وُضعت فيه. وأنا
أحمله عبئًا، لا عطية."

فتغيرت ملامح الكاهن، ونظر إليه بعيون
تشعّ حذرًا، ثم قال:

– "ربما أنت من قد يكون نبوءة أو لعنة. علينا
أن نختبرك."

في اليوم التالي، جلب الكاهن الأعظم معه
سحرة المعبد، وأحضروا أمامه طاولة مزينة
بالرموز الغامضة، وكتبًا قديمة من برديات

مصرية. جلسوا حوله، وبدأ النقاش:

الكاهن: "أيها الغريب... إذا كنت مختاراً، فأرنا علامة. أظهر لنا ما لم يُظهر للناس."

الفتى: "العلامات تأتي لمن يؤمن بها، ولكن من لا يؤمن لا يرى سوى الظل."

الساحر الأكبر، رجلاً ملتحياً، قال: "إذا كان فيك شيء من الآلهة، فأثبت لنا أنك قادر على تغيير مصير هذا النهر."

ابتسم الفتى، ونظر إلى النيل بهدوء، ثم رفع يده، فإذا بالماء يتلاطم أمام الحضور وكأنه يطيع إرادته. ارتجف الحاضرون، وقال بعضهم:

— "إنه معجزة... إنه الإله!"

قال الفتى: "هذه ليست معجزة... هذه قدرة خلقتها سنوات الخلود."

الكاهن: "إذا كان الخلود ما تحمله، فما هدفك منه؟"

أجاب الفتى: "أن أرى العالم، وأن أختبره. أن أكون شاهداً على الأزمان كلها."

الساحر الأكبر: "أليس الخلود عبئًا؟ ألم تشعر بالوحدة؟"

رد الفتى بصوتٍ هادئ:

— "الوحدة هي تاج الخالد. ولكني أريد أكثر... أريد أن أكون مختاراً، أن أكون سيداً."

في تلك اللحظة، دخل المعبد رجل عجوز آخر، هذه المرة بملامح أكثر غموضًا، وابتسامة كأنها مليئة بسرّ لا يبوح به. كان إبليس، في هيئة حكيم من أساطير مصر، يحمل عصًا من خشب السدر، ويجلس أمام الفتى في هدوء.

قال إبليس:

– "لقد سمعتك تتحدث عن الخلود... وعن السلطة. هل تدرك أنك تقف على حافة أن تصبح أكثر من بشر؟"

رد الفتى:

– "أعلم... لقد بدأت أرى نفسي كذلك. لكن ما الهدف؟"

ابتسم إبليس وقال:

– "الهدف هو أن تؤمن بنفسك. أن تدرك أنك مختار. أنت الخلود، وأنت القوة، وأنت الطريق. ليس ثمة نبي بعدك، ولا إله إلا أنت."

أخذ الفتى نفسًا عميقًا، وقال:

– "إذا كان هذا صحيحًا... إذا كان الخلود يعني أن أكون مختارًا... فأنا أقبله."

ضحك إبليس وهمس:

– "آمن بنفسك، وستكون سيدًا على العالم بأسره. ارفع رأسك، وأعلِن أنك المختار."

ابتسم الفتى، ونظر إلى جمع الكهنة والسحرة، وقال بصوتٍ عالٍ:

– "أنا... المختار."

تعالت الأصوات حوله، بعضها تصفق، وبعضها يلعنه، وبعضها يسجد له. لكن في داخله، كان الغرور قد نبت جذوره، وقد بدأ يشعل فيه شعلة جديدة... شعلة سترافقه إلى نهاية الزمان.

دخل الفتى مدينة أثينا، قلب اليونان القديمة، حيث الآلهة تتكلم بلغة الفلاسفة، وحيث الأكاديميات تملأ الساحات. المدينة كانت مكتظة بالفلاسفة والمفكرين، يرددون أسماء أفلاطون، سقراط، وأرسطو، بينما تمتلئ الأسواق بألوان الصدف، ورائحة الزيتون، وقرع الأقدام على الرخام.

في الصبح، كان الفتى يسير بين أعمدة الأكروبوليس، عيناه تتأملان تفاصيل التماثيل الضخمة للإلهة أثينا، وهو يتساءل:

– "هل هؤلاء آلهة... أم مجرد قصص اختلقها البشر ليشرحوا المجهول؟"

وفي ساحة عامة، تجمع حوله الحشد. الكهنة اليونانيون والسحرة والمفكرون جاءوا ليسمعوه.

رفع الفتى رأسه وقال:

— "أنا لست نبيًا، ولا إلهًا بعد. لكنني أملك شيئًا... شيء يُسمّى الخلود، وقوة تغيّر الواقع."

خرج كاهن يوناني وقال بتحدٍ:

— "أيها الغريب... إن ادعيت قوة، فأرنا معجزتك."

ابتسم الفتى، ثم همس في صمت، كما لو يتحدث إلى شيء داخله. وعندها أضاءت عيناه، ثم رفع يده، وإذا بسحاب من مله يتكون فوق رأسه، يسير في الهواء، وكأن النيل نفسه ارتفع ليسبح في فضله أثينا.

صرخ الحشد بدهشة، بينما أخذ الفتى يتحدث:

– "هذه البداية... هناك ما هو أعظم."

في تلك الليلة، جلس الفتى مع إبليس في معبدٍ قديم خلف المدينة. كان إبليس يرتدي ثوبًا أسودًا، ويمسك بكتابٍ من الجلد ممزق الصفحات، قال له:

– "أنت على أعتاب المرحلة الكبرى. لقد تعلمت كيف تُظهر قوى لا يجرؤ البشر على فهمها. لكن المعجزات ليست إلا وسيلة... وسأعلّمك المزيد."

رد الفتى:

– "أنا جاهز... لكن أي معجزات؟"

قال إبليس:

– "كما ذُكر في نبوءات قديمة... تستطيع أن تشفي المرضى، تميت الأموات، تتحكّم

بالطبيعة، وتجعل الماء والهواء والطعام من العدم. لكن هذه المعجزات ليست لمجرد الإعجاب... هي لإثبات أنك المختار."

ضحك الفتى، وقال:

– "إذا كان هذا ما يريده القدر...

فليكن."

في اليوم التالي، جمع الفتى الناس في ساحة كبيرة، وأخذ يبدأ المعجزات أمامهم:

شفاء المرضى: مد يده على رجل مقعد منذ سنوات، وإذا به يقوم واقفًا، يمشي بدون ألم، وسط هتافات الحشد.قام إحياء الموتى، جلب جثة طفل مات منذ أيام، ورفع يده، فإذا بالطفل يتنفس ويضحك.و حرك الطبيعة، جعل الرياح تهبّ من حيث يشاء، والمطر ينزل

على الحاضرين، كما لو كان هو سيد العناصر.

تجمع الفلاسفة حوله، وقال أحدهم:

– "إنه ليس بشراً... إنه إله."

قال الفتى بصوتٍ مرتفع:

– "أنا لا أطلب أن تؤمنوا بي... لكن أن تعترفوا بالقدرة."

وفي نقاش طويل، جلس الفتى مع الفلاسفة، وكان الحديث كالتالي:

الفيلسوف الأول: "إن قوة كهذه يجب أن تُستخدم للحكمة، لا للغرور."

الفتى: "ما هي الحكمة؟ هل هي أن تحيا للأبد بدون أن تعرف الغاية؟"

الفيلسوف الثاني: "الحكمة هي إدراك الحقائق، وليس السيطرة على البشر."

الفتى: "لكن السيطرة على البشر... هي حقّ الخلود."

ضحك الفيلسوف الثالث وقال: "ألا تخشى أن تكون غروراً؟"

أجاب الفتى: "أنا لم أختر أن أكون خالداً... لكنه قدرٌ منحني القدرة، وقدري أن أكون الأعلى."

ثم نظر الفتى إلى السماء، وقال:

— "إن كنت مختاراً... فإني سأثبت ذلك للعالم كله. سأُظهر للعصور أني سيد الزمان."

ابتسم إبليس في الظل، وهمس:

– "لقد قبلت دعوتي... والآن أنت على
الطريق لتكون أعظم من الإله."
وهكذا، بدأ الفتى في اليونان مرحلة
جديدة... مرحلة يملؤها غرور الإله، وقوة
المعجزات، وصراع الفكر، حتى صار الناس
ينظرون إليه كأنه ليس من البشر، بل هو
كائن آخر، نصفه من نور ونصفه من ظلام،
وشاهداً على قدرٍ أكبر من الزمن نفسه.
بينما كان الفتى يسير في أزقة أثينا،
كانت المدينة تعجّ بالفلاسفة والباعة
والنسلء اللواتي يرفعن أصواتهن في الأسواق.
وسط هذا الضجيج، ظهر فجأة رجل مُهيب،
يرتدي ردلءً أبيضًا طويلًا، يحمل عصًا
خشبية مزخرفة، وعيناه تلمعان ببريقٍ
غامض. كان رجلاً يبدو وكأن الزمن
توقف عنده... رجل يحمل في صدره رسالة

عظيمة.

كان هذا النبي إيليا عليه السلام، من أنبياء اللّه المذكورين في التوراة، المرسَل بدعوة للعودة إلى اللّه، حاملاً بصمة التاريخ.

وقف النبي في ساحة عامة، ونظر إلى الحشد قائلاً:

– "يا أهل أثينا... تعبدون تماثيل حجرية وأصناماً، وتنسبون القوة إلى غير خالقكم. اللّه واحد، لا شريك له. اتركوا الأصنام، وارفعوا قلوبكم إلى الحق."

تجمهر الناس حوله، وصاح أحدهم ساخراً:

– "أيها الغريب، هل أنت نبي؟ أم شاعر يبحث عن مجد؟ الأصنام لنا تاريخ... ولك أنت أساطير!"

ضحك الحشد، وتسلل آخر:

– "أترانا بحاجة لنبي جديد؟ ألا يكفي ما مضى؟"

ابتسم النبي إيليا وقال:

– "إن دعوة الله لا تنتهي. كل عصر يحتاج إلى من يذكّر الناس بالحق."

وقال رجل من بين الحشود مستهزئًا:

– "وما قدرتك أنت؟ هل تستطيع أن تغير القدر؟ هل تستطيع أن تنقذنا من موتنا؟"

أجاب النبي:

– "القدرة الحقيقية هي أن تعرفوا اللّه، وتتركوا عبادة ما خلقتم بيدكم."

حين لاحظ الفتى هذا الحوار، اقترب من النبي بهدوء، وكأنه يبحث عن جواب لشيء في نفسه. قال له

بصوت منخفض:

– "يا رجل... ألم تتعب من الدعوة؟ ألم تتعب من السخرية؟"

ابتسم النبي إيليا وقال:

– "الدعوة عبادة... والسخرية امتحان. وأنت... تعرف نفسك أكثر مما تعرف أنت."

ارتفع الحشد حولهما، وبدأ الناس يتسللون، فيما همس الفتى للنبي:

– "لقد عرفتني... أليس كذلك؟"

نظر النبي إلى عينيه بعمق، كأنه يرى وراء العصور، وقال:

– "أعرفك... كان اللّه قد حدثني عنك منذ الأزل. عنك أنت وعن فتنتك العظيمة. أنت الذي ستأتي كأعظم فتنة في التاريخ، ولن يكون

لك يوم إلا وسيأتي كما قُدر."

ابتسم الفتى بغرور:

– "فتنة؟ وهل أنا أعظم فتنة؟"

قال النبي:

– "أنت فتنة... فتنة عابرة للأزمان، لن تُمحى من ذاكرة البشرية. اللّه قد جعل لك يوماً لن يخلفك، وامتحانًا لا يستطيع أحد أن يثبته إلا بعونه."

ارتجف الفتى، لكنه أخفى ذلك بابتسامة، وقال بصوت مرتفع:

– "إذا كان هذا قدرًا... فأنا سأكون أعظم من أن تُسمع عني الأزمان، سأكون علامة لا تُمحى."

ضحك الحشد، بين السخرية والخوف، وقال

أحدهم:

– "إنه مجنون! إنه يريد أن يكون إلهًا!"

ابتسم النبي إيليا وقال بهدوء:

– "لن تفعل ذلك إلا حين يظن أنك إله...

وحينها سيكون يوم الفتنة الكبرى."

وبينما الحشد يتناقل كلام النبي، بقي الفتى واقفًا يحدّق فيه. كان في عينيه مزيج من الغرور، الفضول، والتساؤل. وعاد في نفسه إلى كلام إبليس في مصر:

– "إن كنت مختاراً... فإني سأثبت ذلك للعالم كله."

وأيقن أن لقاءه بالنبي لم يكن صدفة، بل إعلانًا لبداية مرحلة جديدة، مرحلة ستأخذ شكل معارك فكرية وروحية، ومعجزات

يكتسبها من إبليس نفسه، ليُكمّل مسيرته كـ"الخالد" الذي سيُعرفه العالم في أزمنة لاحقة.

بعد اللقاءِ مع النبي إيليا عليه السلام، جلس الفتى في معبد قديم خلف أثينا، حيث كان الظلام يغطي الجدران المزينة بالرموز الفلسفية القديمة. أمامه، جلس إبليس في هيئة رجل عجوز، ينظر إليه بعينين تلمعان كجمرة لا تنطفئ.

قال إبليس بصوت هادئ لكنه مليء بالقوة:

– "لقد رأيت في عينيك الغرور... لكن الغرور وحده لا يكفي لتكون سيداً. أنت بحاجة لمعجزة أكبر، لمرحلة أعمق من إثبات القوة."

نظر الفتى إليه بسؤال:

– "وماذا تقترح؟"

ضحك إبليس، وقال:

– "اللّه قد أرسل نبياً إلى أرض مصر... الأرض التي هجرتها منذ زمن بعيد. نبي ليس كبقية الأنبياء، نبي سيضعك على المحك، سيختبرك أمام العالم، ويكشف حقيقة ما في قلبك."

ارتبك الفتى قليلاً، وقال:

– "نبي؟ إلى مصر؟ ولماذا الآن؟"

قال إبليس:

– "لأن اللّه يعلم أنك في طريقك لتكون أعظم فتنة. وهذا النبي هو اختبارك... تحدٍ لك، تحدٍ لربك، وتحدٍ للعالم كله. إذا أردت أن تثبت أنك المختار، عليك أن تذهب إلى مصر، أن تواجه هذا النبي، وأن تُظهر للعالم ما أنت

عليه."

ابتسم الفتى، وقال وهو يحدّق في الأفق:

– "إذن هذه دعوة... أو اختبار؟"

نظر إليه إبليس بغضب قائلا:

– "هي دعوة ونار في آن واحد. أنت لا تفعل هذا من أجل إثبات ذاتك فحسب... بل لتثبت أنك تتحدى الرب، وأنك أعظم من أن يُقيدك قدر."

رفع الفتى رأسه وقال بثقة:

– "إذا كان هذا ما أريده... فأنا سأذهب. سأشد الرحال إلى مصر، وسأرى هذا النبي، وسأثبت أنني لا أزال الخالد المختار."

في اليوم التالي، بدأ الفتى يستعد لرحلته. اجتمع الحشد حوله في أثينا، يتسللون عن

سبب رحيله. قال لهم:

– "أنا ذاهب إلى مصر... حيث تختبر الأقدار قوّتي. سأواجه هناك تحدياً أكبر من كل ما عرفتموه عني."

ضحك البعض، وقالوا:

– "إنها مجازفة... ربما نهاية أسطورتك!"

حملق فيهم الفتى وقال:

– "لا... هذه بداية الأسطورة الحقيقية."

وفي طريقه، كان الفتى يحمل في قلبه تلك الكلمات التي همس بها إبليس له:

– "اذهب... فالفتنة الحقيقية لم تبدأ بعد."

وكان يعلم أن الرحيل إلى مصر ليس مجرد سفر... بل هو دخول في معركة حقيقية،

معركة ستضعه وجهاً لوجه مع نبي اللّه، ومع
قدره الذي كتب له منذ الأزل.
حين وطأت قدماه أرض مصر، شعر وكأنه
يدخل عالمًا آخر... عالمًا من التاريخ
والحكايا القديمة، أرضًا صنعتها مياه النيل،
وكتبتها الحضارات على جدران المعابد.

مصر كانت لوحة حية، كل شبر فيها يروي
قصة. في الأفق، كان النيل يتلوى كحلم
أزلي، يلمع تحت الشمس كأنه شريط من
الذهب السائل. ضفافه مزروعة ببساتين من
القمح والشعير، وأشجار النخيل تتمايل على
نغمات الرياح، وأصوات الطيور تملأ الأجواء
برنين.
الطريق إلى الصعيد كان مليئًا بالمشاهد
الغريبة: بيوت من طين وحجارة، قوافل

الجمال تسير بثبات، صيادون يرمون شباكهم في النهر، أطفال يلعبون على الضفاف، ونسلٍ يطحنّ الحبوب على الطواحين الحجرية.
كان صوت المياه المندفعة يتخلل همسات الباعة وصيحات التجار، وأمام كل معبد أو هرم كان يقف حارس بملامح صلدة يرفع عصاه، وكأن الزمن نفسه حرس تلك الأرض.

في قلب مصر، كانت الأقصر تعجّ بالناس، والمعابد تفيض بعبق البخور والقصص المنحوتة على الجدران. كان كل حجر يروي أسطورة، وكل تمثال يحمل سرًّا من الأسرار.

جلس الفتى تحت جدع نخلة ضخمة على ضفة النيل، يستند إلى جذعها كمن يستريح قبل معركة، وعيناه تتأملان الأفق.

من حوله،كان الناس يتحدثون بصوت خافت، وكأنه يلتقط كلمات من الماضي.

أحدهم قال لرجل آخر:

– "لقد سمعتم عن موسى... الذي تحدى فرعون و أراد إخراج بني إسرائيل من عبودية الأرض؟"

قال الآخر:

– "نعم... وقالوا إنه جاء بمعجزة من اللّه. لكن ماذا لو كانت هذه المعجزة مجرد سحر؟"

قال الثالث:

– "ليس سحرا... لقد رأيت آثار آياته !"

سكت الجميع وهم ينظرون إلى النيل،
وكأنهم يسمعون همساً من التاريخ.
بعد ساعات، إذ بصوت الطبول وصيحات
الجند يملأ الأفق، يقترب موكب الفرعون
رمسيس من المدينة. كان الموكب ضخما،
عربات تجرها الخيول الذهبية، ومئات الجنود
يرفعون الأعلام، وكهنة يرددون ترانيم
الآلهة. كان رمسيس جالساً على عربة
مرصعة بالجواهر، يتقدّم فوق الجميع بملء
الكبرياء.

اقترب الفتى من الموكب، وعينه تلتقط كل
تفصيلة: أزياء الجنود، أسلحة الفضة، والرموز
التي تزين العربة. دون تفكير، قرر الاقتراب
أكثر، حتى صار أمام الفرعون مباشرة.
قال له أحد الحراس:
– "من أنت؟"

فقال:

– "أنا هامان... رجل من أهل الدلتا، أتيت بخبرة ومعلومة."

اقترب الفرعون، ونظر إليه بفضول، وقال:

– "حدثني، ماذا تريد؟"

قال الفتى:

– "يا مولاي، أنا أملك ما قد يساعدك... وأريد أن أكون خادمك المخلص."

بدأ الحوار طويلًا بينهما، حوارات عن السياسة، الحكم، القوة، والدين. تحدث الفتى عن الأرض، عن النيل، وعن أهل مصر، وعن قوة السيطرة على الشعب. استمع الفرعون وهو يبتسم، وكأنه يجد في كلامه ما يعزز كبريائه.

وبعد أيام من اللقاءات، أصبح الفتى هامان ذا ثقة لدى الفرعون رمسيس، وأصبح أمينه وذراعه الأيمن.

قال له الفرعون في مجلس خاص:

– "لقد أثبت نفسك، هامان. أنت رجل يمكنني الاعتماد عليه."

ابتسم الفتى في سرّه، وقال لنفسه:

– "ها أنا ذا... داخل قلب القصر، وفي مركز القرار. هذه بداية مسيرتي الحقيقية."

وهكذا، تحول الفتى إلى جاسوس متنكر باسم "هامان"، يعيش بين البلاط الملكي، يراقب كل تحركات الفرعون، ويستعد لتنفيذ مخطط أكبر، مخطط سيجعله ليس مجرد خادم، بل سيداً على مصر... وربما على العالم كله.

بعد سنوات من خروجه، وعبر طرق مجهولة، دخل موسى عليه السلام أرض مصر مرة أخرى. كانت عودته محمّلة برسالة لا يعلم أحد محتواها إلا هو. الأرض التي هجرها لم تكن كما تركها... لقد تغيرت القلوب، وتبدلت الموازين، لكن الظلم بقي يسكن في القلوب، خصوصاً في قصر الفرعون.

وصل موسى إلى أطراف الدلتا، فاجتمع الناس حوله في حوارات مطوّلة:

– "لماذا عدت؟" سأل أحدهم.

– "هل هي رغبة في الفداء أم اختبار جديد؟" قال آخر.

أجاب موسى بصوت هادئ:

– "لقد خرجت لأني جئت بدعوة من اللّه...
لأذكّر البشر بأن الطريق هو طريق الحق."

– "لكن الأرض مليئة بالصراعات... هل أنت
مستعد لذلك؟" تسلل رجل آخر.
قال موسى: "الحق لا يحتاج إلى استعداد...
إنه واجب."

وصل خبر عودة موسى إلى بلاط فرعون
رمسيس، فأمر فوراً باستدعائه.

في قصره الكبير، جلس موسى أمام فرعون،
وحوله الحاشية، وكان هامان يقف بجانبه،
يراقب المشهد بتركيز.

قال موسى:

– "يا فرعون... إن اللّه قد بعثني إليك،

لأدعوك لعبادته وحده، وترك عبيد بني إسرائيل."

ابتسم فرعون بسخرية وقال:

— "وأنت تعود لتطالبني بما لم أتركه في البداية؟ هل تعتقد أنني أقبل أن أضع حكم مصر بين يدي عبيد؟"

قال موسى:

— "العبودية ليست حلاً، ولا سلطانًا. العبادة للّه وحده، وترك الظلم، هو الطريق إلى الخلاص."

ضحك فرعون وقال:

— "عبادة اللّه؟ نحن عبيد السلطة، ونحن نعبد أنفسنا قبل أن نعبد أي إله. ما شأنك أنت بشعب مصر؟"

أجاب موسى:

— "شأني هو الحق... وشأني هو أن أكون رسولًا للّه، لأذكرك بأن اللّه يرفع الظالمين ويذلهم."

بدأ الحوار طويلًا، يمزج بين الحكمة والجدال، سخر فيه فرعون من موسى، وأكد موسى على رسالة اللّه، وكان الحاشية تستمع بدهشة.

اقترب موسى أكثر، وقال:

— "إذا كان لديك شك، فلتكن علامة من اللّه، لترى بعينك الحق."

مد موسى عصاه فجأة، وألقاها إلى الأرض، فإذا بها تتحول إلى أفعى ضخمة، تتحرك ببطء، وتثير رعب الحضور.

– "هذا سحر! حيلة من حيل السحرة!"

أومأ موسى، ثم مد يده، فإذا بيده تصبح بيضاء مشعة نوراً، وكأنها شعاع من السماء، يسطع في قاعة القصر.

صفر وجه فرعون غضباً، وقال بصوت عالٍ:

– "اخرج من أمامي!"

أعطى الأمر، فغادر الحضور القاعة، وبقي موسى و هارون وفرعون وهامان فقط.

وقف هامان بهدوء بجانب الفرعون، يراقب موسى بصمت، ثم بعد لحظة همس في نفسه:

– "هذا الرجل... ليس كبقية البشر. فيه شيء يتجاوز الطبيعة. هو ليس مجرد نبي... إنه تحدٍ."

نظر إلى موسى بنظرة مختلطة بين الفضول والغضب، ثم قال في نفسه:

— "إن أردت أن أكون أعظم، فلا بد أن أتحدى هذا النبي... وأن أثبت أنني قادر على مواجهة رسل اللّه."

أمسك هامان بعصاه، ونظر إلى السماء، ثم إلى موسى، وقال:

— "لن يكون هذا اللقاء الأخير... ستكون معركتنا أعظم معركة شهدها التاريخ."

وبهذا القرار، بدأ هامان رحلة داخل نفسه، رحلة لتحدي النبي، رحلة ليصبح ليس فقط جاسوسًا، بل منافسًا لرسالة اللّه نفسها.

بعد أن غادر الحشد، بقي هامان بجانب فرعون في قاعة القصر. كانت قلوب الحضور ما تزال مرتعدة مما رأوه، لكن هامان بدا هادئًا، وكأنه يحاول استعادة السيطرة على الموقف.

اقترب هامان من فرعون وهمس له:

– "يا مولاي... لا تخشَ ما رأيته. هذا ليس معجزة... بل خدعة. موسى ساحر."

رفع فرعون حاجبه وقال بتردد:

– "ساحر؟"

ابتسم هامان بسخرية، وأخرج من بين ثيابه عصا خشبية مزخرفة، وقال:

– "إنظر إلي... هذه العصا التي أحملها،

بإمكانها أن تخفي كل خوف... كما سأفعل الآن."

رفع هامان العصا، وأدارها ببطء في الهواء، وإذا به يخرج دخانًا يملأ القاعة، ثم يتبدد وكأن شيئًا لم يكن. بدا وجه فرعون قد تغير، فقد اختفى الخوف، وحلّ محله الفضول والسيطرة.

قال هامان:

— "هذه من حيل السحرة الذين يخدمون في البلاط الملكي، وكنت منهم قبل أن أكون ذراعك الأيمن. موسى يستخدم السحر ليظهر نفسه أمام الناس، وهو يعلم أن الكثرة ستصدق الخدعة إذا رآتها بعينها."

اقترب هامان من فرعون أكثر وقال بصوت ملئ بالدهاء:

– "إذا أردت أن تثبت أن موسى كاذب، وأنه
ليس سوى ساحر،
عليك أن تعطي أمرًا بتحدٍ بينه وبين
السحرة. لن يكون هناك أفضل من أن يرى
الشعب ذلك بأم أعينهم."

نظر فرعون إلى هامان بتمعّن، ثم قال:
– "وهل ستكون أنت من يقود هذا
التحدي؟"

قال هامان بثقة:
– "نعم... وأطلب منك أن تسمح لي
بالمشاركة مع السحرة. سأجعل هذا اليوم
يومًا لا ينسى."

ابتسم الفرعون وقال:

– "فليكن... أعلن في مصر كلها أن موسى
سيتحدى أمهر سحرة المملكة. ليشهد
الشعب أن السحر لا يُهزم."

انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم. في
الأزقة، وبين الأسواق، وفي المقاهي، جلس
الناس يتحدثون عن التحدي، وحواراتهم
كانت طويلة جداً، مليئة بالشائعات،
الخوف، والتوقعات:

قال بائع خبز لأحد الزبائن:

– "سمعت أن الفرعون أمر بتحدٍ كبير...
موسى ضد السحرة. هل تظن أن موسى
سينجو؟"

رد الزبون:

– "أنا لا أعرف... لكن موسى ليس مجرد

رجل عادي. من رأى ما فعله بعصاه ويده البيضاء، يعلم أنه ليس من البشر."

قال رجل آخر جالس في الدكان:

— "لكني سمعت من آخرين أن السحرة في البلاط الملكي لا يمكنهم الخسارة. هم ملوك الخدع."

ابتسمت امرأة كانت تصغي لهم وقالت:

— "ربما... لكن موسى كان نبيًا. نبي الله لا يُخدع بسهولة."

سألها أحدهم بدهشة:

— "هل تعتقدين أن موسى سيقبل التحدي؟"

أجابته:

— "نعم... لأنه يعرف أن الحق لا يخشى

المواجهة."

في تلك الأزقة، كان الحديث عن التحدي يزداد صخبًا:

– "هذا اليوم سيخلّد في التاريخ."

– "ستكون النهاية بين السحر والحق."

– "أخشى أن يكون موسى قد وقع في فخ هامان."

وكان هامان فى قلب هذه المؤامرة، يراقب ردود الفعل من بعيد، مبتسمًا، وهو يهمس في نفسه:

– "لقد بدأت الخطة... وهذه ستكون بداية أكبر فتنة شهدتها مصر."

كانت الشمس في السماء ترسل أشعتها
الذهبية على أرض مصر، لكن الأجواء في
ساحة التحدي كانت مشحونة برقٍّ غامض،
كأن الأرض نفسها تتنفس قبل الحدث.

الساحة الواسعة كانت محاطة بأعمدة
ضخمة من الحجر الرملي، نقشت عليها آيات
ورسومًا لآلهة مصر القديمة، وفوق كل
عمود كانت تماثيل لآمون ورع، وأوزوريس،
تحرس المكان.

المكان كان قد أُعد بعناية لحدث سيخلد
في التاريخ. أصوات الحشود تتعالى، والخشوع
يختلط بالرهبة، وكأنهم على وشك مشاهدة
إعلان مصير.

صرخ الحراس، معلنين دخول السحرة. دخلوا
على خيول سوداء مذهبة، تتقدّمها مشاعل

من النار، مع أسود وفهود تتبعهم، وكأنهم جيش من عالم آخر. دخلوا بطريقة عظمى، مشهداً يشبه الاحتفالات الكبرى التي تُقام للإلهة، وجعلوا الأرض تتوهج تحت أقدامهم.

أعلن هامان أسمائهم بصوت جهوري:

– "هذا ساحر البلاط الأكبر: رافيد... سحر الدلتا: زينوف... عيون الصحراء: أستار... وسحرة النيل: كيروم ونانديف!"

ترددت الأسماء بين الحشود، وكان الجمهور يتبادل النظرات المدهوشة، وكأنهم يسمعون إعلان دخول أبطال أسطورة.

صاح الجمهور بحماس:

– "أهلاً بالسحرة! هيا لنرى قوتكم!"

– "ليشهد اللّه... هذه ستكون أعظم مباراة

سحرية في التاريخ!"

" سيدتي أستار...نحن نحبك ! "

ارتفع الصوت حتى صار جلبة تهز القاعة،

بينما السحرة وقفوا في صف أمام الحشد،

يرفعون عصيهم في آن واحد، كإشارة

لاستعدادهم.

ثم دخل موسى وهارون عليهما السلام. كان

دخول موسى بهيًّا، وكأنه يخرج من نور لا

يعرفه المكان.

كان موسى طويل القامة، ذا هيبة لا تقاس،

وجهه مشرق، وملامحه متجذرة بالهدوء

والثقة، وعيناه تشعّان نوراً داخلياً. كان

يلبس ثوبًا أبيض طويلًا، حاملاً عصاه

الخشبية الملساء، التي بدت وكأنها تحوي قوة

السماء. مشى بخطوات هادئة، متزنة، كمن

يمشي على مقدمة القدر.

أما هارون، أخوه، فكان ذو لحية بيضاء كثيفة، وملامح عميقة، عينه تحمل وقاراً، وصوته ملؤه الطمأنينة حين يتحدث:

– "يا أهل مصر، الحق بين أيديكم... أنظروا واعلموا أن اللّه لا يُخدع."

تبادل الحضور الهمسات الطويلة، وتعالت الأصوات في الأزقة والميادين من المصريين و عبيد بنى إسرائيل:

– "هل هذا موسى؟"

– "إنه النور الذي جاء من السماء."

– "لكن السحرة... هم أقوياء... هل سينجح موسى؟"

– "ستكون معركة بين السماء والأرض."

وكان في الساحة أطفال يصرخون بحماس، وشيوخ يتأملون بتأثر، ونساء يرفعن أكفهن

بالدعك.

بدأ التحدي. وقف السحرة أمام الحشد، رفعوا عصيهم في آن واحد، وألقوها إلى الأرض. فوراً، انبثقت ثعابين ضخمة، سوداء وذهبية، تلتف وتصدر زئيراً مهيباً، وكأنها تنبض بحياة شريرة. اقتربت من الحشد، فارتجف الناس

وصاح أحدهم:

– "انظروا! ثعابين حقيقية!"

ضحك هامان في سره، وقال بصوت منخفض لفرعون:

– "كيف يا موسى ستواجهني؟ كيف ستنتصر؟ إنها أفعى حقيقية... بمعونة إبليس."

نظر موسى بعينين هادئتين، كأنه يقرأ ما في قلوب الجميع، ثم مد عصاه ببطء إلى الأرض،

وقال بكلمات هادئة:

– "باسم اللّه..."

خرج من عصاه نور قوي، وإذا بها أفعى ضخمة، أكبر من ثعابين السحرة، تتلألأ كأنها شعاع من نور السملِ، تتحرك بثقة وقوة، وتقترب من الثعابين الأخرى، فتبتلعها كلها في مشهد مخيف ومهيب.

صرخ الحشد:

– "سبحان اللّه... إنه الحق!"

– "لم نرَ مثل هذا من قبل!"

صفر وجه هامان من الغضب، وارتجف جسده، بينما ارتفع همس الجمهور، وتخلل الساحة صوت البكاء من بعضهم، والخشوع من آخرين.

صرخ فرعون بغضب:

– "اخرجوه! أخرجوه من أمامي!"

هبّت الحاشية، وارتفعت صيحات التنفيذ، لكن المشهد لم يكن مجرد اختبار قوة، بل لحظة كشف عظيم. سقط السحرة واحداً بعد الآخر على الركبة أمام موسى، وكل واحد منهم يرفع يده قائلاً:

– "لا إله إلا اللّه."

ارتجف آخرون، وبدأوا يتحاورون باختلاف وصوت منخفض:

– "إنه الحق... لقد رأيته بعيني."

– "كيف نكون سحرة ونعترف بهذا؟"

وكان المشهد مهيباً، حين وقف الحشد في صمت، يشاهدون السحرة يسجدون أمام موسى، فيما دموع الخشوع تملأ عيونهم.

لكن فرعون غضب أكثر، وقال بصوت مرتفع:

– "اقتلوا هؤلاء السحرة... لا أريد أن يُسمع عن هذا في مصر!"

هبّت الحاشية، وارتفعت صيحات التنفيذ، وصدى الكلمات ملأ الساحة.

وقف هامان وحده، أمام جثث السحرة، ينظر إلى موسى بعينين مليئتين بالغضب والدهاء، وهمس في نفسه:

– "لن يمر هذا الأمر... سأجد الطريق... سأجعلك تخسر أيها النور."

جلس الفتى في الظل، بعيداً عن ضجيج البلاط، لكن قلبه كان يشتعل غضباً. كان يتنفس ببطء، عيناه تلمعان كأنهما تحويان ناراً سوداء.

اقترب إبليس، في هيئة رجل عجوز، يرتدي عباءة ممزقة، عيناه تتلألأ بخبث.

قال إبليس بصوت منخفض:

– "لقد بدأت اللعبة... وقد أثرت فتنة عظيمة في قلوب الناس."

نظر الفتى إليه بعينين حادتين وقال بغضب:

– "لكن كيف يمكن لموسى أن يبطل كل معجزاتي؟ كل ما بنيته بأيديّ... كيف يقف أمامي بهذا الشكل؟"

قال إبليس بسخرية:

– "لأن موسى لا يستخدم القوة كما أنت تفعل... إنه يستخدم الإيمان... وهذا ما يجعله يتخطى المعجزات."

صاح الفتى:

– "الإيمان لا يكفي! أنا أعطي القوة... أعطي السحر الذي لم يعرفه البشر! لكن موسى... يستطيع أن يبدد كل ذلك بلمسة! كيف يحدث هذا؟"

أجاب إبليس ببرود:

– "لأن اللّه أعطاه قوة لا تتحدر من عالمنا... وأنت مهما فعلت، لن تستطيع أن تنافس إرادة اللّه."

ابتسم الفتى بغضب، وقال:

– "إذا كان الأمر كذلك... فسأحتاج إلى

هوية جديدة، قوة جديدة... وسأدخل للقلب،
أنا هامان، ذراع الفرعون الأقوى."

دخل الفتى في اليوم التالي إلى قصر الفرعون رمسيس، و هو يلعب كعادته دور هامان في أرض مصر، بثوب مرصّع بالذهب، وعصا مزخرفة بالجواهر، خطواته واثقة وصوته حادّ.

وقف أمام فرعون وقال:

– "يا مولاي، لقد جئت لأكون ذراعك، ولأريك الطريق الذي يمكننا من السيطرة الكاملة."

نظر فرعون إليه بتردد، ثم قال:

– "وهل أنت من تعرف ما يجب أن نفعله؟ لقد جربنا كل شيء."

ابتسم هامان وقال:

– "لقد عشت مع مصر... عرفت كل سر من أسرارها... ورأيت ما ذاقته من عذاب لم يشهده تاريخها. لقد عذبها سحر موسى بالطوفان... بالجراد... بالقمل... بالضفادع... بالبرد... بموت الماشية... بالفقر... وتحولت مياه النيل إلى نهر من دمٍ."

جلس فرعون في مجلسه الخاص، محاطًا بوزرائه، بينهم هامان، وقد بدا وجهه متألمًا من تلك الذكرى.

قال فرعون:

– "ألا تتذكرون تلك الليالي... عندما غمر الطوفان أرضنا؟ لم يبق شيء على حاله... كانت السمك تهبط علينا بغضب، والنيل يموج بالدخان والدمك."

رد وزير آخر:

– "لقد كان ذلك اختباراً يا مولاي... لقد كانت السمك تُظهر غضبها."

قال هامان بصوت هادئ لكنه قوي:

– "لكن يا مولاي... لا أحد في مصر نسي الجراد والقمل، الضفادع التي ملأت البيوت... البرد الذي جمد القلوب... موت الماشية... الفقر الذي عمّ الأرض... وتحول مياه النيل إلى نهر من دمك... كل هذا كان عذابًا عظيمًا."

همس وزير آخر:

– "كان علينا الخضوع... لكن الكبرياء يا مولاي منعنا."

قال فرعون بغضب:

– "لقد كنت أظن أنني أملك قوة تفوق كل شيء... لكنني ذقت العذاب... وأصبحت أسمع

صوت السماء وهو يهددني."

و قاطعه هامان :

– "وهذا يا مولاي ما يجعلني أتيت... لأذكرك أن هناك قوة أعظم من كل ما عشته، وأن الطريق أمامنا مفتوح. لكن علينا أن نكون أقوياء."

صمت المجلس، وأخذ الحضور يتبادلون النظرات، بينما كان هامان يقف ثابتًا أمام عرش فرعون، عينيه مليئتين بالطموح والدهاء.

خارج القصر، في الأزقة، كان الناس يتحدثون بحماس:

– "سمعت أن هامان يريد الحديث مع موسى... وقال له إن مصر ذاقت العذاب كله بسببه."

– "هل هذا صحيح؟ أليس موسى هو السبب في كل هذا؟"

– "ربما... لكن هامان يقول إن هناك خطة أكبر."

– "لنرى... التاريخ لا ينسى من يدخل القلوب بقوة."

كان الحديث يدور في الأسواق، المقاهي، والشوارع الضيقة، وكأن مصر كلها على وشك ولادة فصل جديد في التاريخ.

قال رجل عجوز لبائع خبز:

– "ألم تذكر يا صديقي الطوفان؟ كيف غمر النيل كل الحقول والبيوت؟ كانت المياه كالبحر يغرق الأرض كلها."

رد البائع وهو يمسح وجهه المتعب:

– "أجل... وكنت أرى الجراد في كل

مكان، يأكلون الزرع حتى الجذور... ثم
جاء القمل، كأنه غزو من عالم آخر."

مرت امرأة بينهما وقالت:

– "ولا تنسوا الضفادع... كانت تملأ البيوت
والطرق... حتى الليل لم يكن لنا هدوء فيه."

قال شاب من بينهم:

– "كان البرد قارسًا... كانت الأرجل
ترتعش من شدة الصقيع... والمواشي تموت في
الحقول، لم يبقَ شيء لنا."

رد رجل آخر:

– "والأمر الأسوأ... أن مياه النيل تحولت إلى
دمٍ... حتى لا يمكننا شرب الماء... ولا يصلح
الزرع للعيش."

أضافت امرأة أخرى:

– "لقد كان عذابًا لا يُنسى... كل شيء ينهار... والفقر يسود القلوب قبل الأرض."

واستمر الحديث طويلًا، يتشابك بين أصواتهم، وكأنهم يروون ملحمة العذاب:

– "إنه سحر موسى... لعنة أزلية."

– "لا، إنها رسالة... رسالة من السماء."

– "لكن لماذا نحن؟ ما ذنبنا؟"

– "ربما لأنه الكبرياء... الكبرياء يا أخي."

كان الحديث يدور بعمق، وكلماتهم تتكرر على لسان الجميع في الأزقة، وكأن مصر كلها تتنفس وجعها في تلك اللحظة.

في تلك اللحظة، كان موسى عليه السلام يقف على منبر بسيط أمام بني إسرائيل، يخطبهم بصوت عميق، يدعوهم إلى الثبات

على الحق، والإيمان باللّه:

– "يا بني إسرائيل... لا يغرّنكم السحر... ولا يضلّكم الكلام. اللّه هو القادر على كل شيء، وهو وحده المستحق للعبادة."

كان الحشد ينصت إليه بإجلال، وبعضهم يرفع أكفّه بالدعاء.

قال أحدهم:

– "يا موسى... كيف نثق ونحن نرى الناس يصفون المعجزات بالسحر حولنا؟"

أجاب موسى:

– "الإيمان يا بني... الإيمان هو نور القلب. وإن المعجزات ما هي إلا دليل لمن يؤمن... أما من يكفر، فلن يقنعه شيء."

وقف رجل من بين الحشد وقال:

– "ولكن يا نبي اللّه... كيف نميز بين المعجزة والخديعة؟"

ابتسم موسى وقال:

– "إذا كان ما تراه يبعدكم عن الله... فهو فتنة... وإن كان يقربكم منه... فهو هداية."

حينها، توقف الحشد، وانصبّت عيونهم على موسى، وساد الصمت.

فجأة، ظهر هامان، دخل بين الحشد، والصمت يزداد، وارتفعت همسات الدهشة:

– "من هذا؟"

– "كيف دخل هنا؟"

– "هذا هامان!"

اقترب هامان من موسى وقال بصوت مرتفع:

– "يا موسى... إن لك مني كلمة... دعني

أختليك قليلًا."

ارتجف الحشد، وأخذوا يتهامسون بدهشة:

– "لماذا يطلب هامان ذلك؟"

– "ما الذي يريد قوله له؟"

قال موسى بوقار:

– "إن أردت الكلام معي... فليكن بعيداً عن الناس... فالحق أمانة لا تُقال فى الحشد."

فابتسم هامان وقال:

– "إذاً لنذهب."

اقترب الحشد أكثر، وهم يراقبون المشهد بدهشة، وهمس أحدهم:

– "لم أرَ يومًا هامان يطلب هذا من موسى..."

– "إنه أمر غريب... ربما يحمل سرًّا."

جلس موسى وهامان بعيداً عن أعين الناس، تحت ظل نخلة عملاقة على أطراف الساحة. كان الهواء ثقيلاً من صدى حديث الحشد الذي ما يزال في الساحة. وكان هامان ينظر إلى موسى بعينين لامعتين، وكأنه يرى في داخله هدفًا لا يقاوم.

بدأ هامان بالكلام بصوت منخفض لكنه مليء بالثقة المطلقة:

— "موسى... إنك تقف هنا متحدثًا عن الحق، لكن الحق لا يُعرف إلا من خلال القوة. أنا الذي أعطيتك القوة، أنا الذي منحتك القدرة على صنع المعجزات. إنني الذي أفتح لك أبواب السماء والأرض."

نظر موسى إليه بعينين ثابتتين، وقال بوقار:

— "لا يا هامان... إن المعجزات لا تُعطى إلا من اللّه، وليس من يد زائل. ومن أعطاك القدرة

فأنت عبد لهذه القوة، لا خالقها."

ابتسم هامان ابتسامة مليئة بالغموض، ثم ارتفع صوته أكثر:

– "بل أنا الخالق، موسى... أنا الإله الذي طالما انتظر العالم معرفته. أنا الذي أملك المفاتيح... مفاتيح الأرض والسماء. أنا الذي أستطيع أن أحرر شعب بني إسرائيل من عبودية القوم، وأجعلهم سادة الأرض كلها."

قال موسى بحزم:

– "لقد عرفتك... أنت المسيح الكذاب، الذي حذّرني اللّه منه... أنت أعظم فتنة عرفها البشر. ما من نبي إلا وقد أخبر عنك... وأنا أعلم أن ما جاء به كلام النبي إليا نفسه."

تغيّر وجه هامان فجأة، وألقى رأسه إلى الخلف

ضاحكًا ضحكة هستيرية، أضاءت عينيه بشيء من جنون العظمة:

– "هاهاها... موسى! نعم... أعلم أنك تعرفني. لقد كنت تنتظر هذه اللحظة. نعم... أنا المسيح الكذاب... وأنا أعلم أن جميع الأنبياء من إليا إلى يومك قد تحدثوا عني. كلام إليا كان مثلي تماماً... وقال لك: إنني سأظهر فتنة عظيمة، وأن عليّ أن أكون الاختبار الأكبر."

ارتعش موسى قليلاً وهو يجيب:

– "هذا ما جاءني به اللّه... أن يحذّرني... وأن يحذر عباده. أنك فتنة تمحو الإيمان، وتضل القلوب، وأنك لن تترك أمة إلا وتجربها."

قال هامان وهو يقترب من موسى بخطوات بطيئة، صوته مليء بالغرور:

– "وماذا لو أخبرتك موسى... أنني أستطيع أن أعطيك ما لم يملك أحد قبلك؟ أن أعطيك ملك مصر... والبلاد كلها... أن أحرر بني إسرائيل من العبودية، وأجعلهم حكاماً للعالم؟"

صمت موسى قليلًا، ثم قال بوضوح:

– "يا هامان... هذا ليس طريق الحق... إنما طريق الباطل. لن أكون تابعا لك... ولن أقبل أن تكون عبيداً لفتنة. لقد أُخبرت أن مقاومتك واجب، وأن نهايتك محتومة."

ضحك هامان ضحكة هستيرية، وكأنه يعلن نهاية العالم:

– "هاهاها... موسى! هذه ليست مقاومة... هذه بداية عصر جديد! وأنا الفائز في هذا الصراع... ستعرف أنت وبني إسرائيل أن قوتي

لا تُقاوم. أنا سأكون إله الأرض!"

وقف موسى أمامه بثبات، وقال بصوت عميق:

— "ستبقى فتنةً إلى أن يرث اللّه الأرض...
لكن الحق باق، ولن يزول. وأنت مهما ادعيت
لن تستطيع أن تتخطى إرادة اللّه."

قهقه هامان بجنون، وقال:

— "إرادة اللّه... موسى... يا لها من كلمة
جميلة... لكنني سأكتب تاريخًا جديداً...
تاريخًا يذكر اسمي فيه، وسيعرفني البشر
قبل أن يعرفوا اللّه نفسه."

ثم رفع هامان يده، وكأنها دعوة للنزال
الروحي، وقال:

— "أنا المسيح الكذاب... وأنا أعلم أن النصر
لي... وهذا وعد لن أنكثه."

أنزل موسى رأسه بحزن، وقال:

– "عدّ إلى ما خلّفته من خراب... وذكّر نفسك أن النهاية للحق، وليس للباطل."

وكانت هذه الكلمات آخر ما تبادلاه قبل أن ينصرف هامان، وهو يبتسم ابتسامة مليئة بالدهاء والتحدي، ويدخل إلى قلب الخطة الكبرى التي سيبدأ بها فتنة الأرض.

بينما كانت نسائم الصحراء تهب على قصر فرعون، وصل الخبر إلى أروقة البلاط بأن موسى عليه السلام قد غادر مصر برفقة بني إسرائيل.

جلس فرعون على عرشه، وجهه مشحون بالغضب، وصوت حرسه يردد الأخبار في أرجاء القصر.

قال فرعون بصوت مرتفع:

– "موسى... هذا المتمرد... يهرب بنا، يترك عبيدنا، ويأخذهم معه! كيف يمكن أن نسمح لهذا أن يحدث؟!"

وقف وزير بجانبه وقال:

– "يا مولاي... يجب اللحاق بهم، وإعادتهم، وإثبات أن مصر لا تفلت من يدها."

نظر فرعون إلى هامان، الذي كان يقف
بالقرب منه، وقال:
–لكن بأي قوة؟ بأي جيش؟ بأي وسيلة؟

قال هامان:
– "يا مولاي... إنني سأجعل لك أعظم جيش
عرفته الأرض. سنلاحقهم ونأخذهم بالقوة.
لن يهرب أحد من مصر ونحن خلفهم."

قال فرعون بغضب:
– "افعل يا هامان... لكن اجعل الأمر
سريعًا."

رد هامان :
– "هذا ما كنت أنتظره... سأبدأ فورًا."

ذهب هامان إلى قارون، أغنى رجل في الأرض، الذي كانت كنوزه تلمع كأنها نجوم السماء، وكان قصره مملوءًا بالذهب والفضة والجواهر.

دخل هامان قصر قارون، والدهشة ترتسم على وجه الحاضرين. وقف هامان بثقة وقال:

— "قارون... أعلم أنك أغنى رجل على وجه الأرض التي أنا إلهها و حاكمها... لكنني جئت اليوم لأطلب منك شيئًا أكبر من كل كنوزك."

نظر قارون إلى هامان بإجلال، وقال:

— "يا مولاي... أنت الذي أعطيتني هذه الكنوز... أنت الذي منحتني هذا الملك... أنا على استعداد لأي أمر تأمر به."

رد هامان بوجه جاد:

– "أريدك أن تدعم فرعون بالمال، وتجهز له أعظم جيش عرفته الأرض في أسرع وقت. إن مصير مصر يعتمد على هذا."

خرّ قارون على ركبتيه أمام هامان، وقال بصوت خاشع:

– "يا مولاي... أنت رب المال والقدرة... أنت من وهبني هذه الثروة... فلتأمر وسأنفذ. كل كنوز الأرض ملك لك، وكل ما أملك بين يديك."

رفع هامان يده وقال:

– "إني آمر... وبموجب هذا الأمر، سيكون لفرعون أعظم جيش يراه العالم، وسنلاحق موسى حتى آخر خطاه."

نظر قارون إليه بامتنان وقال:

– "حسناً... يا مولاي... سأجمع الذهب والفضة والجواهر. كل ما يطلبه فرعون سيكون جاهزًا."

قال هامان بملامح سعيدة:

– "افعل ذلك بسرعة... فكل لحظة تأخير هي لحظة قوة لموسى."

وكان قارون، وقد ركن على ركبتيه أمام هامان، يردد كلمات التسبيح:

– "سبحانك يا مولاي... أنت الذي وهبتني كل شيء... أنت الذي جعلتني أغنى إنسان على الأرض... أنت الإله في هذه الأرض."

ابتسم هامان في سره، وقال بصوت هادئ لكنه ملؤه الغرور:

– "وهكذا سيكون... كل شيء تحت

في صباح اليوم التالي، خرج فرعون على رأس جيش عظيم، موكب فخم يشع نوراً، كأنه كسراب النمل الذي يسير في الصحراء. آلاف الجنود، خيول مزخرفة، وعربات حربية تلمع تحت أشعة الشمس. كان الجيش يمتد حتى الأفق، كأنه نهر لا نهاية له من القوة والحديد.

هتف الحراس بصوت واحد:

— "فرعون قادم! فرعون قادم!"

وكان هامان يسير بجانب فرعون، يرتدي درعًا مذهّبًا، وعيناه تلمعان بالغرور:

— "يا مولاي... اليوم سيُكتب في التاريخ... يوم يُظهر قوة مصر العظمى."

على الضفة الأخرى من البحر الأحمر، وقف بني إسرائيل، ينظرون بقلق وخوف إلى أفق البحر، حيث يلوح في الأفق صوت الجيش وصهيل الخيول، وصوت العربات التي تدق الأرض كطبول القدر.

قال رجل منهم وهو يرتجف:

– "إنهم كسراب النمل... لا نهاية لهم... إنهم آلاف، وربما مئات الآلاف!"

رد آخر وهو ينظر إلى موسى:

– "يا نبي اللّه... كيف سننجو؟ نحن أمام البحر... ولن نتمكن من الهرب."

ارتجف الحشد، وأخذ آخر يقول:

– "نحن هالكون لا محالة... هذا هو قدرنا...

ألسنا عبيداً منذ الأزل؟"

وقف موسى أمامهم، صوته عميق، ويداه مرفوعتان:

– "يا بني إسرائيل... لا تيأسوا... اللّه معنا.
ثقوا بي، فهو سيرشدنا."

اقترب منه أحدهم وقال:

– "لكن نرى الجيش... ونسمع صوت الخيول والعربات... إنهم قادمون إلينا."

قال موسى بهدوء:

– "لا تخافوا... اللّه سيعلمني ما يجب أن أفعل."

وفي لحظة صمت عميق، يوحى اللّه إلى موسى، وهو يسمع صوتًا داخليًا:

– "أيها النبي... ارفع عصاك، وقل للبحر أن

يشقّ، ليكون طريقك وطريق أمّتك."

ارتفعت يد موسى، والتفت إلى بني إسرائيل،
وقال بصوت مهيب:

– "ثقوا بالله... شاهدوا ما سيحدث."

رفع موسى عصاه إلى السماء، وأخذ يضرب
بالماء، فارتج البحر، وسمع الحشد صوتًا يشبه
هدير الجبال.

بدأ الماء يتفرق ببطء، كجدار عظيم من الماء،
تتشكل فيه طرق واسعة، والماء يقف على
جانبيه كجدران ضخمة.

ارتعش بني إسرائيل، وقال رجل منهم:

– "إنه معجزة... والله معنا!"

قال آخر وهو يلتفت إلى رفاقه:

– "أسرعوا... لن نجد مثل هذا اليوم مرة أخرى... هذا طريق خلاصنا!"

بدأ الحشد يهرع، يتسابقون لعبور الطريق المائي الذي شقه اللّه لهم، وكأن الأرض تُفتح أمامهم، والبحر يسير كجدار من نور.

كان صوت الخيول والعربات يقترب أكثر فأكثر، لكن بني إسرائيل لم يتوقفوا، كانوا يجرون نحو الخلاص، وعين موسى على الأمام، يرفع عصاه بثبات، وكأنه قائد كتب اللّه له أن يقود شعبه إلى الخلاص.

وفي تلك اللحظة، كان صدى حواراتهم وأقدامهم المندفعة عبر الطريق المائي يمزج بين الخوف والأمل، وبين الحقيقة والمعجزة التي ستظل محفورة في ذاكرة الأجيال.

اقترب جيش فرعون من البحر الأحمر، كأنه نهر من الحديد والخرسانة، يمتد في صفوف متراصة لا نهاية لها. أصوات الخيول تتعالى، وصفير العربات يمزق الصمت، وصدى الأقدام يرن كطبول حرب.

وقف الجنود على حافة البحر، يتطلعون إلى الطريق المائي الذي شقه موسى، وهم في حالة من الذهول، يتهامسون فيما بينهم:

– "كيف... كيف يمكن لماء أن ينقسم هكذا؟"

– "هذا ليس من البشر... هذه قوة إلهية."

– "هل نحن نرى الحقيقة... أم حلمًا؟"

كان هامان بجانب فرعون، عيناه تتأججان غضبًا، ووجهه متجهمًا حتى كأن البحر نفسه أهان كبريائه. قال هامان وهو يقرص

حاجبيه:

– "يا مولاي... لا تتخدع... هذا مجرد وهم بصري... خدعة من السحر... سندخل البحر، وسنكسر هذا الحلم."

هدأ فرعون و بثقة قال:

– "لنرى... لنرى إذا كان موسى قادراً على أن يوقفنا.

دخل الجيش إلى البحر، وخطواتهم تصنع هديراً تحت أقدامهم، والماء يقف على جانبيه كجدران من الجبال. أصوات الجنود تعلو، بينهم من يصرخ:

– "إرحمنا يا رع!"

– "يا إلهي... ما هذا العجب؟"

لكن هامان، وهو يصرخ بغضب:

– "سنكسر هذا السحر... نحن مصر، ونحن

القوة!"

وهو يخطو بخطوات متقدمة في أعماق
البحر، يردد بين أسنانه:

– "كيف... كيف يهزم هذا؟ كيف سأموت
بهذه الطريقة؟!"

وقف موسى على الضفة، رفع عصاه، وصاح
بصوت مدوٍّ:

– "يا بحر... أُغلق على هؤلاء الظالمين."

ومع كلمة موسى، ارتج البحر، وعاد الماء
ليغلق الطريق فجأة، كجدار من الحديد
والظلام، فابتلع الجنود كلهم.

سمع صوت صراخ وعويل، وكان صوت
الخيول يتلاشى، وصرخات الجنود تزداد،
والبحر يهتز في هيجان عظيم.

قال أحد الجنود وهو يصرخ:

– "نحن نغرق... لا مفر لنا!"

وقال آخر وهو يحاول السباحة:

– "مصر... مصر انتهت... أنقذينا أيتها الآلهة العوالي! "

وكان هامان وسط البحر، يصرخ وهو يغرق، يقول فى نفسه بمرارة:

– "كيف... كيف يمكن أن تكون النهاية هكذا... أنا الرب... أنا إله هذه الأرض و حاكمها... كيف سأموت بهذا الذل؟"

ارتفع صوته، وهو يكشر عن أسنانه:

– "هذا ليس عدلاً... لا يمكن أن يكون هذا هو النهاية... أنا الذي كنت سأكون الحاكم... أنا الذي سأكتب التاريخ!"

ثم، فجأة، انفتح أمامه شعاع مظلم، وصوت همس بارد يتردد في أعماقه:

— "هل تريد أن تعود؟ هل تريد أن تنهض من جديد؟"

ظهر إبليس أمامه، في هيئة دخان أسود، عيناه تتوهجان، وقال:

— "أنا من سيعطيك الحياة... سأخلّصك... وسأجعلك أقوى مما كنت. ولكن عليك أن ترجع، أن تنحني لسلطتي، وأن تكون أداة فتنتي الكبرى."

صاح الفتى بلهفة:

— "نعم... سأفعل... سأعود... سأحيا من جديد... ولن أنسى هذا اليوم!"

فمد إبليس يده، وأمسك بالفتى الخالد،

وسحبه من أعماق البحر، في مشهد عجيب،
وكأن الموت نفسه انحنى أمام إرادة الظلام.

أخذ المسيح الكذاب نفساً عميقًا وهو يطفو
على سطح الماء، وجهه يفيض غضباً ودهاءً،
وقال بصوت مكتوم:
– "لقد خسرت اليوم... لكنني لن أنسى...
موسى... أنت لم تنتصر بعد... سأعود،
وسأكتب النهاية."

كان صوت موج البحر، وصدى صراخ الجنود
المبتلين، يتلاشى خلف أصوات هدير الخيول،
وصدى خطوات جيش مصر، الذي ابتلعه
البحر كله، ولم يبق منه سوى الذاكرة،
والدرس الذي سيبقى محفوراً في الأزمان.

بعد نجاته من موت البحر بيد إبليس، عاد هامان... لكن ليس كما كان. عاد متنكّرًا بصورة رجل غريب من بني إسرائيل، بل لُقب بين الناس بـ "السامري".

لم يكن السامري رجلا عاديا، بل كان في الحقيقة المسيح الدجال، وقد أُعطي هذه الهوية الجديدة كي يدخل وسط صفوف بني إسرائيل، ويزرع فيها البلبلة والشكوك.

دخل السامري وسط القوم بهدوء، ينظر إليهم بعينين متأملتين، كأنه يقرأ أفكارهم. كان ثوبًا بسيطًا يلف جسده، وابتسامة خفية على شفتيه، لكنه كان يحمل في قلبه خطة عظيمة لزرع الفتنة.

وقف بين بني إسرائيل وقال بصوت منخفض لكنه مسموع:

– "يا بني إسرائيل... هل فكرتم يومًا... هل موسى حقًا نبي اللّه؟"

توقف الحشد عن الحركة، وانفجر صوت همسات بين العبيد:

– "كيف تقول هذا... هو الذي أخرجنا من مصر؟"

– "لكن ألم نرى المعجزات؟ ألم يقسم البحر لنا؟"

– "ربما كان ذلك سحرا... ربما خدعة."

دخل السامري أكثر بينهم، وقال بابتسامة خبيثة:

– "إن موسى إنما يعبد نفسه... إن كل ما يفعله هو ليثبت سلطته عليكم... ليجعلكم تتبعونه بلا سؤال. هل فكرتم أن هناك غيره قد يأتي ويهدينا؟"

ارتفعت الأصوات، وبدأ الجدل يشتعل:

– "كيف تقول هذا؟ موسى رسول اللّه!"

– "لكن كيف يمكن أن نعرف الحقيقة؟"

– "نحن بحاجة إلى دليل، لا مجرد كلام."

تسرب القيل والقال بين الصفوف، وكأن السامري قد أطلق العنان للشك في قلوب الناس.

وفي رحلتهم، مرّ القوم على أرضٍ يسكنها قوم يعبدون الأصنام. كانت الأصنام قائمة على منصات ضخمة، تتلألأ في الشمس، ويحمل الناس القرابين إليها.

وقف السامري بين بني إسرائيل، وعيناه يعلوهما بصيص من الحيلة و المكر، وقال

بصوت مرتفع:

– "انظروا... هؤلاء عباد الأصنام... لكنهم يملكون معبودات يرونها... يقربون إليها القربان... هل نحن لا نستحق أن يكون لنا إله مثلهم؟"

ارتفعت الأصوات بين بني إسرائيل، وصار الجدل يزداد:

– "لماذا لا نعبد إلهًا نراه؟"

– "ربما يكون هذا طريق الحق."

– "أليس موسى يعظنا أن نؤمن باللّه؟ فلماذا لا نجد ما نؤمن به؟"

اقترب أحدهم من موسى وقال بصوت مرتجف:

– "يا موسى... ألم نطلب إلهًا نراه؟ أعطنا إلهًا نشعر به."

ارتفعت أصوات العبيد، بعضها يوافق، وبعضها يسأل، وأخذت الأحاديث تتكاثر:

– "لماذا لا نعبد مثلهم؟"

– "أليس هذا هو الطريق إلى الأمان؟"

وقف موسى، وجهه مملوء بالغضب، وقال بصوت مدوي:

– "يا بني إسرائيل... هذا ليس الحق... ليس هناك إلا اللّه وحده. لا تُضلّكم الأصنام، ولا تستمعوا إلى وسوسة الشيطان... إلهكم هو الذي خلقكم، وليس ما تصنعه أيديكم."

لكن السامري، بابتسامة خبيثة، نظر إليهم وقال:

– "ها أنتم ترون... هناك من يشكك... وهناك من يريد الإجابة... فلتفكروا...

فالاختيار لكم."

وهكذا بدأت الفتنة تتسرب بين بني إسرائيل، بين شك ووسوسة، بين طاعة ومقاومة، وبين الحق والباطل، كما كان المسيح الدجال يخطط... يزرع بذور الخيانة.

كان موسى قد ترك قومه، متوجّهًا إلى جبلٍ عالٍ ليلتقي ربّه، يُطوّع قلبه بالدعاء والخشوع، ويبحث عن الهداية.

ترك خلفه جماعة من بني إسرائيل في الصحراء، حيث النار تشتعل في قلوبهم من القلق والخوف.

لم يمض وقت طويل حتى بدأ القيل والقال يدور بينهم:

– "أليس موسى هرب منا؟"

– "لقد أضاعنا في الصحراء... أتركنا بلا

قائد."

– "ماذا لو كان قد مات أو تركنا؟"

– "كيف نعرف أنه سيعود إلينا؟"

كان هؤلاء الحديث كشرارة للفتنة، ولم يكن المسيح الدجال بعيداً عن سمعهم، فقد كان يتربص بالصورة المناسبة.

في ذلك الليل، اجتمع المسيح الدجال الذي كان يمثل دور السامري في بني اسرائيل مع إبليس، في مخدعٍ مظلمٍ وسط الصحراء.

قال السامري :

– "الآن هو وقت الفرصة... يجب أن أضع خطة تجعل الناس تتسى موسى، وتلتفت إليّ."

نظر له إبليس في الظلام، وقال:

– "لقد علّمتك الطريق... الآن اجمع الذهب من كل بقاع الأرض، واجعل لهم ما يُلهيهم عن الحق."

وبدآ في جمع الذهب، وكانا يختاران أنقى الأنواع، من ذهب الجبال، وذهب الأنهار، وذهب المناجم. ثم تشاورا في صنع شكل، وكانا يتحدثان أثناء العمل:

– السامري: "العجل... هو الرمز الذي سيجعلهم يعبدونني. سأجعلهم يعتقدون أنه الإله الذي أنقذهم."

– إبليس: "افعل ذلك... فالعجل سيمثل لهم الأمان، وسيبعدهم عن الحق."

في صباح اليوم التالي، وقبل أن يطلع

الشمس، وضع السامري التمثال المصنوع من الذهب، وأشعل البخور أمامه. كان البخور يتصاعد في الهواء، رائحته تملأ المكان، يتخللها هدير الرياح وهمسات الغريب.

وقف السامري أمام العبيد، وقال بصوت مسموع:

– "يا بني إسرائيل... هذا هو الإله الذي أنقذكم... الذي شق لكم البحر... الذي حرركم من فرعون."

ابتدأت الحوارات تنهال:

– عبد: "هل هذا هو الإله؟ هل أنقذنا فعلاً؟"

– آخر: "إنه شيء عظيم... يجب أن نقدمه القربان."

– ثالث: "لكن موسى ذهب... هل نبقى بلا إله؟"

ابتسم السامري في خفه، وقال لهم:

– "أليس الأمان أهم من كل شيء؟ إن هذا العجل هو رمز حياتكم... هو الذي سيحفظكم."

بدأ الناس يقتربون، ويتحدثون فيما بينهم، وتكاثر القيل والقال حول موسى:

– "لقد تركنا... ربما لم يعد لنا من نعبده."

– "لن نجد إلهًا أفضل من هذا."

– "لماذا لا نصنع له القربان؟"

وفي صمتٍ بعيد عن الحشد، وقف السامري متأملًا العجل، وقال لنفسه:

– "لقد جمعت كل منجزاتي في هذا العجل... كل قوتي، كل خطتي، كل خداعي... سيصبح رمزًا لعبادتي، وسيصبح بداية إضلالهم. موسى غائب، والفتنة قد

بدأت... وستستمر حتى يركع الجميع أمامي."

في الأيام التي تلت غياب موسى، بدأ الناس يتوافدون إلى تمثال العجل، يحملون معهم المرضى والمحتاجين، يطلبون الشفاء والبركة. كان الأبرص، والأعمى، والمريض يأتون، فيجدون في العجل ما كانوا يرجون.

قال أحدهم:

– "لقد شفيت يدي بعد أن لمست العجل، كان الألم لا يُطاق، والآن لا أشعر بشيء."

وقال آخر:

– "أصبحت أرى بوضوح بعد أن كنت أعمى، لقد كان العجل هو السبب."

وبدأ الناس يتحدثون بينهم:

– "إنه حقًا إله، لقد أنقذنا من فرعون، وها هو يشفي مرضانا."

– "لقد جلب لنا البركة، أصبحنا نملك المال، والمحاصيل وفيرة."

– "يجب أن نبني له معابد، ونقدم له القرابين."

وبالفعل، بدأ الناس في بناء المعابد حول تمثال العجل، يزينونها بالذهب والفضة، ويضعون فيها الهدايا والقرابين. أصبح العجل يُعبَد، وتُقدَّس صورته، وأطلقوا عليه اسم "بوفيدون"، وهو اسم مستوحى من الأساطير القديمة، حيث كان يُعتقد أن بوفيدون هو إله البحر الذي يسيطر على المياه ويمنح الحياة.

وفي تلك الأثناء، كان السامري يراقب عن

كثب، وهو سعيد أشد السعادة في سره. قال لنفسه:

– "لقد نجحت خطتي، الناس يعبدون العجل، ويعتقدون أنه هو من أنقذهم. موسى غائب، وأنا الآن في مكانه."

وفي يوم من الأيام، بينما كان السامري يتفقد المعابد، اقترب منه أحدهم وقال:

– "يا سامري، هل تعتقد أن العجل هو الإله حقًا؟"

– "بالطبع، إنه الإله الذي أنقذنا، ونحن الآن نعيش في بركة."

ثم جاء آخر وقال:

– "لقد جلب لنا المال، والمحاصيل وفيرة، كيف لا نعبده؟"

وفي تلك اللحظة، شعر السامري بشعور من النشوة. قال لنفسه:

— "لقد أصبحت القوة بين يدي، الناس يعبدونني دون أن يعلموا."

وفي تلك الأيام، عاد موسى من الجبل بعد أربعين ليلة، حاملاً الألواح في يديه، ليجد قومه قد ضلوا، وعبدوا العجل. كانت الصدمة كبيرة، والغضب في قلبه عميق.

قال موسى بصوت مرتفع:

— "يا قوم، ما الذي فعلتموه؟ ألم يعدكم اللّه بالهداية؟ لماذا عبدتم العجل؟"

لكن الناس، الذين كانوا في حالة من الفتنة، بدأوا يبررون أفعالهم:

— "لقد وجدنا الشفاء والبركة في العجل."

– "لقد أنقذنا من فرعون، ونحن الآن نعيش في نعمة."

لكن موسى، الذي كان يعلم أن هذا ليس الطريق الصحيح، رفع يديه إلى السماء وقال:

– "اللهم، إني أشكو إليك ما فعل هؤلاء القوم."

ثم نظر إلى السامري وقال:

– "ألم أخبرك أن هذا ليس الطريق؟ لماذا أضعتهم؟"

لكن السامري، الذي كان يعتقد أنه قد نجح في خطته، قال بابتسامة خبيثة:

– "لقد فعلت ما كان يجب فعله، والناس الآن يعبدون الإله الحقيقي."

لكن موسى، الذي كان يعلم أن هذا ليس الحق، قال:

— "لن أسمح لك بأن تضل الناس، ستدفع ثمن ما فعلت."

بينما كان موسى واقفًا أمام قومه، الألواح في يديه، والغضب يشتعل في قلبه، كان الصمت يخيم على المكان، وكل الأعين تتوجه إليه، منتظرة كلماته.

ثم، فجأة، ساد هدوء عميق، وكأن السماء نفسها توقفت عن التنفس. عند تلك اللحظة، جاء الوحي إلى موسى:

قال اللّه في قلبه:

— "يا موسى... السامري الذي اخترت أن تدعوه بين قومك ليس بريئًا... إنه هامان... خادم فرعون... وهو المسيح الدجال الذي

حذرتك منه. له موعد مع الحساب، ولكن
اليوم لم يحن موعد عقابه... فاقتصر أنت
على طرده."

وقف موسى لحظة، وأغمض عينيه،
وكأن الكلمات ترتجف في داخله، ثم رفع
نظره إلى السامري الذي كان يقف أمامه
بابتسامة كاذبة.

قال موسى بصوت عميق وقوي:

– "أيها السامري... لقد كشف اللّه عنك...
لقد ضللت قومك، وأبعدتهم عن سبيل الحق.
لقد حان وقت الرحيل."

نظر السامري إليه بدهاء، ورد بابتسامة
شيطانية:

– "هل تظن أنك تعرف كل شيء، يا موسى؟
الأيام ستكشف من المنتصر."

قال موسى وهو يقف بشموخ:

– "أنا لا أخشى الفتنة، إن اللّه معي. اذهب، ولا تعد إلى بين قومي."

ابتسم السامري ابتسامة مليئة بالكراهية والدهاء، وقال:

– "سنلتقي يا موسى... يومًا ما... وعندها سأكتب النهاية."

وانحنى السامري أمام موسى، ثم التفت وعاد ينسحب من أمام قوم بني إسرائيل، وقد اختفى وسط الغبار والصحراء، تاركًا وراءه فتنة عظيمة.

أخذ موسى عصاه، وذهب نحو التمثال الذي بناه السامري، العجل الذهبي "بوفيدون"، وقد تحيط به جموع من الناس، يصلون ويقدسون، يعبدونه ويقدّمون القربان

رفع موسى صوته بين الحشد:

– "يا بني إسرائيل... هذا ليس إلا صناعة أيديكم... ليس إلهًا... إنما وسوسة الشيطان."

بدأ يضرب التمثال بعصاه، وصوت الصدى يتردد في الأفق. ارتجت الأرض، واهتز التمثال، ثم سقط على الأرض، يتحطم إلى قطع صغيرة، وكأن التاريخ نفسه يعلن نهاية فتنة العجل.

صرخ الحشد:

– "يا موسى... هل هذا هو الطريق؟"

– "لماذا؟ لقد جعلتنا نفتقد الأمان!"

قال موسى وهو ينظر إلى السماء:

– "إن الأمان ليس في الذهب، ولا في تمثال،

إنما في اللّه وحده... عدوا عن هذا الطريق
قبل أن تضلوا."

وكان السامري يبتعد في البعيد، عيناه
تلمعان بغيظ، وهو يقول لنفسه:
– "لقد فزت اليوم... لكن المعركة لم تنته
بعد... سأعود... سأكتب الفصل الأخير."

وغاب السامري في الأفق، تاركًا وراءه أثر
فتنة عميقة، وعبرة محفورة في تاريخ بني
إسرائيل، وعبرة لكل من يعبد غير اللّه.

الفصل الثاني :

موعد لن يخلف

ـ مرت القرون، والزمن ينساب كما النهر، حاملاً معه أحداثًا عظيمة، وحضارات تتلاشى وأخرى تشرق.

المسيح الدجال، ذلك الكائن الذي يحمل في ذاته فتنةً لا تنطفئ، لم يقف مكانه، بل دار بين الأمم والأقوام، يدخل حضاراتٍ ويخرج منها، يراقب الأنبياء، ويخطط لموعده الكبير.

كان يتنقل خفية، متنكراً في هيئة رجال وقادة وحكماء، يدخل الأسواق، يجلس بين العلماء، ويُصغي إلى حوارات الحكام، يراقب العباد، ويتعلم من قوتهم وضعفهم، حتى جاء زمنٌ جديد... زمن نبي اللّه سليمان عليه السلام.في ذلك العصر، كانت الأرض تزدهر، وتتلألأ حضارةً وعظمة.

سليمان عليه السلام ملك عظيم، وسلطان واسع، وعلم لا حدود له، قد وهبه اللّه الملك والملكوت، وجعل له القدرة على أمر الجن والإنس والطير، فهم جميعاً يخضعون لأمره بإرادة اللّه.

كانت مدينته عاصمة مجيدة، قصره من أرقى وأجمل الأبنية، يبني بالذهب والفضة، والجواهر النادرة. كان القصور تزينها الأعمدة من العاج، والسقوف من الذهب المصفّى، والجدران مزخرفة بأروع النقوش والآيات.

سليمان عليه السلام كان يملك جيوشًا عظيمة، وقوات بحرية تجوب المحيطات، وأساطيل تجلب التجارة من أقاصي الأرض. كان له قصور في كل مدينة، وجامعٌ كبير يُعلّق في أفق المملكة، يجمع بين الجمال والإيمان.

وكانت مملكته مشهورة بعدل سليمان، فقد كان إذا حكم بين الناس، كان يقول الحق، ويُعطي كل ذي حقٍ حقه، وكانت عاداته الحكيمة سبباً في مجدٍ لا يضاهيه مجد.

أما الأرض فقد كانت تزدهر بالزروع والثمار، والأنهار تجري بين سهول خضرة، وسمة صافية يضيئها نور الشمس والنجوم، والناس يعيشون في سلامٍ ووفرة.

ذلك الزمان، سمع المسيح الدجال عن ملك سليمان، عن قوته، وعن ملكه الذي لا نظير له، وعن حكمته التي فاقت العقول، وعن قدرته على أمر الجن والطير.

وقف المسيح الدجال في مكانٍ عالٍ يراقب الأفق، وقال في نفسه:

– "هذا ملك عظيم... رجلٌ ليس كبقية الرجال... ملكه قوة وملكوت... وعلمه هائل... إن لقائي به سيكون بداية لمرحلة جديدة... يجب أن أراه، وأن أتعرف على سره."

فبدأ يسافر في خفهِ، متنكّرًا كما اعتاد، بين البحار والجبال، بين المدن والقصور، إلى أن وصل إلى أرض ملك سليمان، حيث القصور العظيمة، والناس الذين يذكرون الملك بحبٍ واحترام. جلس المسيح الدجال في ظلال شجرة تين كبيرة، يتأمل المدينة الباهرة، ويشاهد الجيش الذي يسير تحت رايات الملك، وقال لنفسه:

– "سليمان... أنت الذي تجلس على عرش اللّه في الأرض... أنت الذي أمرتك السمهِ بالملك... لكنى أريد أن أراك... أريد أن

بعد أن بدأ المسيح الدجال يستشعر قوته،
وتزداد رغبته في لقاء سليمان، اتخذ خطة
جديدة، مليئة بالمكر والدهاء.

قام بزيارة دولة أفريقية، أطلق عليها اسم
"زيرامبا"، وهي دولة عظيمة، غنية بالذهب
والفضة، وتشتهر بحدائقها وأهراماتها،
وقصورها التي تلمع في الشمس كأنها نجوم.

في زيرامبا،قتل المسيح الدجال ملك تلك
البلاد الذي يدعي "أورونتوس"،و تنكر
على هيئته و أصبح ملك تلك البلاد،على
هيئة الملك العظيم أورونتوس

تربع المسيح الدجال في قصر أورونتوس،
القصر الأعظم، الذي كان يعلوه باب من

الذهب والفضة، وجدرانه مزينة بنقوش
ذهبية تصور المعارك والانتصارات، وأعمدة
ضخمة منحوتة من العاج.
على السطح، رايات مزينة بألوان متألقة
ترفرف في الريح، بين هدير الأجنحة، حيث
الطير يحلق حول القصر في مشهد بهيج.
الحيوانات النادرة، من أسود وفهود وفيلة،
تتجول في حدائق القصر، فيما الجن
والإنس يعملون معا في تنسيق الجمال،
وصيانة الحُلي، وصناعة الروائح الطيبة،
في مشهد مهيب لا يشبه إلا قصص الملوك
والأساطير.في تلك الأجواء المهيبة، لم يكن
المسيح الدجال قد اكتفى بالتنكر، بل
بدأ تنفيذ خطته. استدعى وزراءه وجنوده،
وأعلن أن لديه أمرًا عظيمًا، ثم في مناسبة
سرية قتل ملكًا آخر من ممالك الجوار،

كان يُدعى "إيليرون"، وأعلن أن سبب قتله هو رغبة في توحيد الممالك لطلب لقاء مع الملك سليمان.

بعد أن أعد نفسه، سافر المسيح الدجال متنكراً في هيئة الملك أورونتوس إلى قصر سليمان، حيث قصرٌ لا يُوصف بجماله.

حين دخل، كان المشهد مهيباً: قاعات واسعة، أرضها من الرخام الأبيض المزخرف بالنقوش، أعمدة تعانق السقف المزخرف بالذهب، ونوافذ زجاجية ملونة تنشر الألوان كأنها قوس قزح.

كان القصر يعج بالجمال: الطير الملون يرفرف فوق الساحات، والحيوانات النادرة تسير بأناقة، والجن والإنس يتعاونون في خدمة الملك، وفي تهيئة القاعة التي

ستستضيف اللقاء.

جلس المسيح الدجال أمام سليمان في قاعة عظيمة، وجلس الملك سليمان عليه السلام بوقار، والدهشة تملأ عينيه، إذ لم يكن يعرف هوية هذا الضيف الغامض.

قال المسيح الدجال:

– "يا سليمان... لقد سمعت عنك كثيرا... عن قوتك، وعن حكمتك، وعن سلطانك الذي وهبك اللّه... جئت لأرى حقيقة هذا الملك... وماهي قدراته."

ابتسم سليمان وقال:

– "يا سيدي... القوة التي أملكها ليست مني، بل من اللّه الذي وهبني الملك والحكمة،

وجعل كل شيء بين يديّ."

قال المسيح الدجال، بصوت مليء بالمكر:

— "وهل أنت نبي يا سليمان؟ أم ساحر؟ كيف حصلت على هذه القوة؟ هل هي بمعجزة من اللّه؟ أم بخفايا لم تُعلن؟"

ابتسم سليمان وقال:

— "أيها الضيف... سأخبرك... إن اللّه جعلني خليفةً على الأرض، وأعطاني ما لم يعطِ أحداً قبلي... لكن الأمر ليس مجرد قوة، بل أمانة... ومسؤولية... كل ما أملك هو بفضل اللّه، لا بسحري أو قوتي الخاصة."

ابتسم المسيح الدجال بعمق، وقال:

— "إذن أنت نبي... لكن ما هذا الملك الذي

تحمله؟ هل هو حقيقي؟ أم هو وهم؟"

بدأ الحوار بينهما طويلًا جداً، امتد لساعات، دار فيه الحديث حول اللّه، الملك، القوة، الحق، الباطل، وأسرار الملكوت، وكلمات سليمان كانت ملهمة وعميقة، فيما المسيح الدجال كان يجيب بدهاء، يختبر حدود الملك، ويبحث عن نقطة ضعف.وفي صمت، بعد أن انتهى الحديث، همس المسيح الدجال لنفسه:

– "لقد رأيته... رأيت قوته... لكني لن أتوقف هنا... سأجد الطريق لأختبره، وسأجعل منه خصمي الأكبر."

◆◆

بعد أيام من لقائه بسليمان، لم يكتفِ المسيح الدجال بما سمعه، بل بدأ ينشر فتنة جديدة، متنكرًا في هيئة رجل مسافر، يتجول بين الناس، يهمس في أسماعهم، يثير الشكوك ويزرع القلاقل.

كان الناس يتحدثون في الأسواق والساحات، حين ظهر هذا الرجل الغريب، متكئًا على عصا، يرتدي عباءة بسيطة، ويتحدث بصوت هادئ لكنه ملئ بالدهاء:

– "يا أهل المملكة... هل تصدقون أن إنسانًا، مجرد إنسان، يستطيع أن يملك سلطة على الطير والحيوان، وعلى الرياح والجن، وكأن كل شيء خاضع لإرادته؟"

بدأ الناس يتجمعون حوله، يسمعون

حديثه، بينما هو يواصل:

– "اسمعوا كلامي... إن الملك سليمان ليس نبيًا... إنه مجرد ساحر... ساحر عظيم. القوة التي يملكها ليست من اللّه... بل من خاتمٍ يعرفه هو فقط... خاتم من الجن يمنحه السيطرة على كل شيء."

ارتعش الناس من هذه الكلمات، وبدأوا يتناقلون الحديث:

– "خاتم؟ هل يمكن أن يكون حقًا خاتمًا سحريًا؟"

– "إذا كان كذلك... أليس هذا خداعًا؟"

– "هل يمكن أن يكون سليمان قد ادعى النبوة ليخفي سحره؟

بدأ المسيح الملعون يتنقل بين القرى والأسواق، يكرر نفس الكلام، وفي كل

مكان كانت الأحاديث تتعاظم، وكان الناس يتجادلون:

– "إنه ساحر... الخاتم يمنحه قوة لا يملكها بشر."

– "لكن سليمان كان عادلًا... هل يمكن أن يكذب؟"

– "إنه يستخدم الخاتم للسيطرة... لذلك تحكم الطير والحيوان."

– "لكن هل نملك دليلًا؟"

بدأت هذه الأحاديث تتحول إلى جدل واسع، يملأ القصور والساحات، ويصل إلى أسماع بني إسرائيل أنفسهم.

بينما كان سليمان في قصره، سمع عن هذه الفتنة، وأصغى لما يقال، بدأ القصر يعج بالحديث. دخل الناس القاعة الكبرى،

يتحدثون بحماس:

– "يا سيدي... الناس يقولون إن الخاتم الذي ترتديه هو مصدر قوتك."

– "وأنك مجرد ساحر!"

– "كيف يمكن أن يكون ذلك؟ هل تعلن أنك ساحر وتخدعنا جميعاً؟"

جلس سليمان بحكمة، وقال:

– "يا بني... القوة التي أملكها ليست بالخاتم، ولا بالسحر... إنما هي من اللّه وحده، ومن حكمته. هذا الخاتم رمز للسلطان الذي أعطاني اللّه، ليس مصدر القوة."

لكن المسيح الدجال، من خلف الحشود، يهمس لهم في الساحات:

– "إذا كان هذا حقًا من اللّه... فلماذا

يخفيه عنكم؟ لماذا يحتفظ بالخاتم؟ إن هذا الخاتم هو سر قوته."

بدأ الجدل يتحول إلى صراع، الناس يتحدثون فيما بينهم في الأزقة والساحات، في الأسواق والقصور:

– "أنا أستحق الخاتم، لكي أملك القدرة كما يملك سليمان."

– "لكن سليمان لن يعطيه لأحد، فهو من الله."

– "إنه يخفي الحقيقة... يجب أن نعرف السر."

– "إنها فتنة... علينا أن نحذر."

تحولت المناقشات إلى حوارات طويلة بين الناس، في الأسواق وفي القرى:

– "ماذا لو كان الخاتم حقيقياً؟ هل نستطيع

السيطرة على الطبيعة؟"

— "إنه إثم... فالسلطة ليست ملكًا للإنسان."

— "لكن القوة هي ما يجعل الإنسان عظيمًا."

في هذه الأثناء، كان الماكر يضحك في الخفاء، يرى فتنة الخاتم تنتشر، ويرى الناس يتصارعون حوله:

— "لقد بدأت الفتنة... الخاتم سيصبح سببًا في انقسام القلوب... وسأجعل منهم جميعًا يسعون وراءه."

جلس سليمان عليه السلام في قاعة العرش الكبرى، وحوله الحرس والوزراء، لكن قلبه مثقلٌ بالحزن. كانت الأحاديث عن الخاتم قد اجتاحت المملكة، والناس يتهمونه بالسحر، ويشككون في نبوته، وكلمات المسيح الدجال الخبيثة تملأ أرجاء البلاد.

جلس الملك سليمان، وبدأت دموعه تنساب بهدوء، قال في نفسه:

– "يا رب... كيف يظلمون عبدك الذي أمرته بالعدل... كيف ينسون نعمك؟ كيف يشككون فيما وهبته أنت؟"

وكان صوت القصر كصدى الحيرة، وساد الصمت، حتى جاء الوحي من السماء:

قال اللّه في قلب سليمان:

– "يا سليمان... إن هذا ما يفعله رأس الفتنة، إنه المسيح الدجال... إنه من أضل القلوب وأعظم الفتن. لا يهدأ حتى يوقع الفتنة في قلب كل أمّة."

ارتفع صوت سليمان قائلاً:

– "يا رب... كيف أجد هذا الدجال؟ وكيف أمنعه؟"

قال اللّه له:

– "أي سليمان... أنت الخليفة في الأرض... لك سلطان على الإنس والجن. فاستدع أعظم مخلوقات الجن عندك، واطلب منهم إحضار المسيح الدجال إلى مجلسك."

رفع سليمان يديه، وقال:

– "أيها الجن... أنتم خدم اللّه في ملكي...

استجيبوا لأمري... أحضروا إليّ المسيح الدجال فوراً."

وكان في جنوده أعظم المخلوقات التي لا يجرؤ إنسان على ذكر أسمائها:

ملك الجن "عزازيل": سيد الرياح العاتية، صاحب العيون الحمراء، يملك القدرة على تغيير شكل السحب وتحريك البحار.

ملك الجن "لؤلؤان": حارس الظلام، بيده سيف من نور الليل، يتحكم في الأشباح والأوهام.

ملك الجن "ثعلوم": سيد الوهم والخداع، يملك القدرة على التسلل بين العقول

وإشعال الفتنة.

ملك الجن "شهمورث": خادم القوة الضاربة، قادر على حمل الجبال وتحريك البحار.

ملك الجن "رازافيل": قائد الجن الطائر، يستطيع التنكر في أشكال البشر والحيوانات.

وقف الجن أمام سليمان، وكانوا يبدون توقيراً وخشوعًا، فقالوا بصوت واحد:

– "أيها الملك... نحن في خدمتك، نجيب دعوتك."

قال سليمان:

– "اذهبوا... وأحضروا لي المسيح الدجال إلى

مجلسي، ليعلم الجميع أنه رأس الفتنة، وأن اللّه قد كشف سره."

ارتفعت أصوات الجن بالتحضير، ودارت الرياح حول القصر، والطير يصرخ في الساحات، والحيوانات تقف ساكنةً في رهبة، والناس في القصور والأسواق يتحدثون عن أمرٍ عظيم سيحدث.

قال أحد الوزراء في القصر:

– "يا مولاي... هذا أمر عظيم... استدعاء رأس الفتنة سيغير مجرى التاريخ."

أجاب سليمان:

– "إن اللّه أمرني بذلك... ولن أتردد في تنفيذ أمره."

وهكذا بدأ الجن في التحرك، كل واحد منهم يتحرك بسرعة خارقة، وكأن الزمن لا يمسهم، يتوحدون في مهمة عظيمة، وهي إحضار المسيح الدجال إلى مجلس سليمان، حيث سيبدأ الحديث الأعظم، بين ملكٍ نبي، وأعظم فتنة عرفها البشر.

في ساعةٍ مشهودة، تجمعت قوى الجن في مجلس سليمان العظيم، في قصرٍ يشعّ نوراً لا يصدقه البشر، وسقف القاعة من ذهبٍ مرصّع بالأحجار الكريمة، وأعمدة القصر تتلألأ، والطيور الملونة تحلق في السماء وكأنها ترقص على نغمات القدر.

وقفت الجموع في صمت، بينما أتى عزازيل ملك الرياح، ولؤلؤان حارس الظلام، وثعلوم سيد الوهم، وشهمورث خادم القوة، ورازافيل

قائد الجن الطائر... جميعهم يحملون المسيح الدجال مقيداً بين أيديهم، متنكراً في هيئة رجل قوي، عيناه تلمعان بوميضٍ غريب.

دخل المسيح الدجال إلى مجلس سليمان، وهو يخطو بثقة، وصوت خطواته يتردد في القاعة الكبرى كأنها قرع طبول حرب.

وقف أمام الملك، وابتسم ابتسامة تختلط بالدهاء والغرور، وقال بصوت جهوري:

– "يا سليمان... جئتُ إليك لأعلن الحقيقة... إنني أعظم فتنة في الأرض... ما من نبيٍ إلا حذر قومه مني... وما من قريةٍ إلا دخلتها فأغويت أهلها... وما من قلبٍ إلا وسوسته الشياطين باسم دعوتي..."

صمت المجلس، وعمّ الهدوء المكان، حتى
رفع سليمان صوته بوقار:
– "أيها الدجال... كلامك فيه اعترافٌ بما
أنت عليه... لكنك تنسى أن اللّه قد جعل
لي سلطانًا على الأرض والسماء، وأنه قد
منحني الحكمة لأميز الحق من الباطل."

تبسم المسيح الدجال مخرجا أسنانه الصفراء
بشكل مخيف، وقال:
– "سليمان... أنت تعلم أنني أعلم سرّ
الخلق... أني أملك ما لم يملكه بشر... قوة
تُغري القلوب وتزلزل العقول... وإن دعائي
لا يزول إلا بزوال الأرض."

جلس سليمان، وقال بهدوء:
– "لقد تكشّف لي أمرُك... وعرفتُ خطورة

بقائك طليقًا... لو بقيت حرًّا، لهلكت القلوب... وسقطت الأمم في الضلال."

ثم نهض سليمان، وصاح في القاعة:

– "أيها الجن... أنتم خدم اللّه... احملوا هذا الفتى... وأخذوه إلى أبعد جزيرة في الأرض... جزيرة لا يصلها أحد... واجعلوها حصنًا لا يفتَح، واصنعوا لها حراسة لا يمكن اقتحامها."

ارتجت الأرض تحت قدمي سليمان، ففتحت باطنها بابًا عظيمًا، وخرجت منه الجساسة، دابة عظيمة، لا نظير لها في التاريخ، لها جسد يضج بالقوة، عينان تتوهجان كالجمر، وأجنحة من نار.

صاحت الجساسة بصوتٍ مدوٍ:

– "يا مولاي... أمرُك سيُنفذ... ولن يدخل السجن أحد إلا بإذنك."

قال سليمان:

– "احرسوه... لا تدعه يخرج... إلى أن يحدد اللّه موعد تحريره... فإن وقت ظهوره لن يأتي إلا في أمرٍ قدّر اللّه له."

أحاط الجن بالمسيح الدجال، وأخذوه إلى جزيرة بعيدة في عرض البحر، جزيرةٌ من نارٍ وصخورٍ وجبالٍ لا يجرؤ عليها إنسان ولا مخلوق.

ووضعت الجساسة أمام السجن، وحارست المسيح الدجال، تنظر إليه بعيون تلمع، وكأنها تنتظر أمراً من ربّها.

وقف سليمان على شاطئ القصر، ينظر إلى البحر، وصوت الموج يتلاعب بأسرار السمك، وقال:

– "قد أُنجز الحكم... لكن هذا ليس نهاية الفتنة... إن موعده قادم... يوم يخرج فيه المسيح الدجال من سجنه... يوم يلتقي فيه بأحد أصحاب نبي محمد صلى اللّه عليه وسلم... يوم الفتنة الكبرى."

وغابت الشمس، وظل سليمان واقفًا في صمت، والجن يحيطون بجساسة الحراسة، والمسيح الدجال في سجن جزيرته، ينتظر، صامتًا، عارفًا أن موعده قادم، موعد سيغيّر مجرى التاريخ.

وهكذا تنتهي قصة المسيح الدجال في عهد

سليمان، حتى يحين اللقاء المنتظر...

يتبع...